Mark Sykes

خطوات قبل صناعة الشرق الجديد

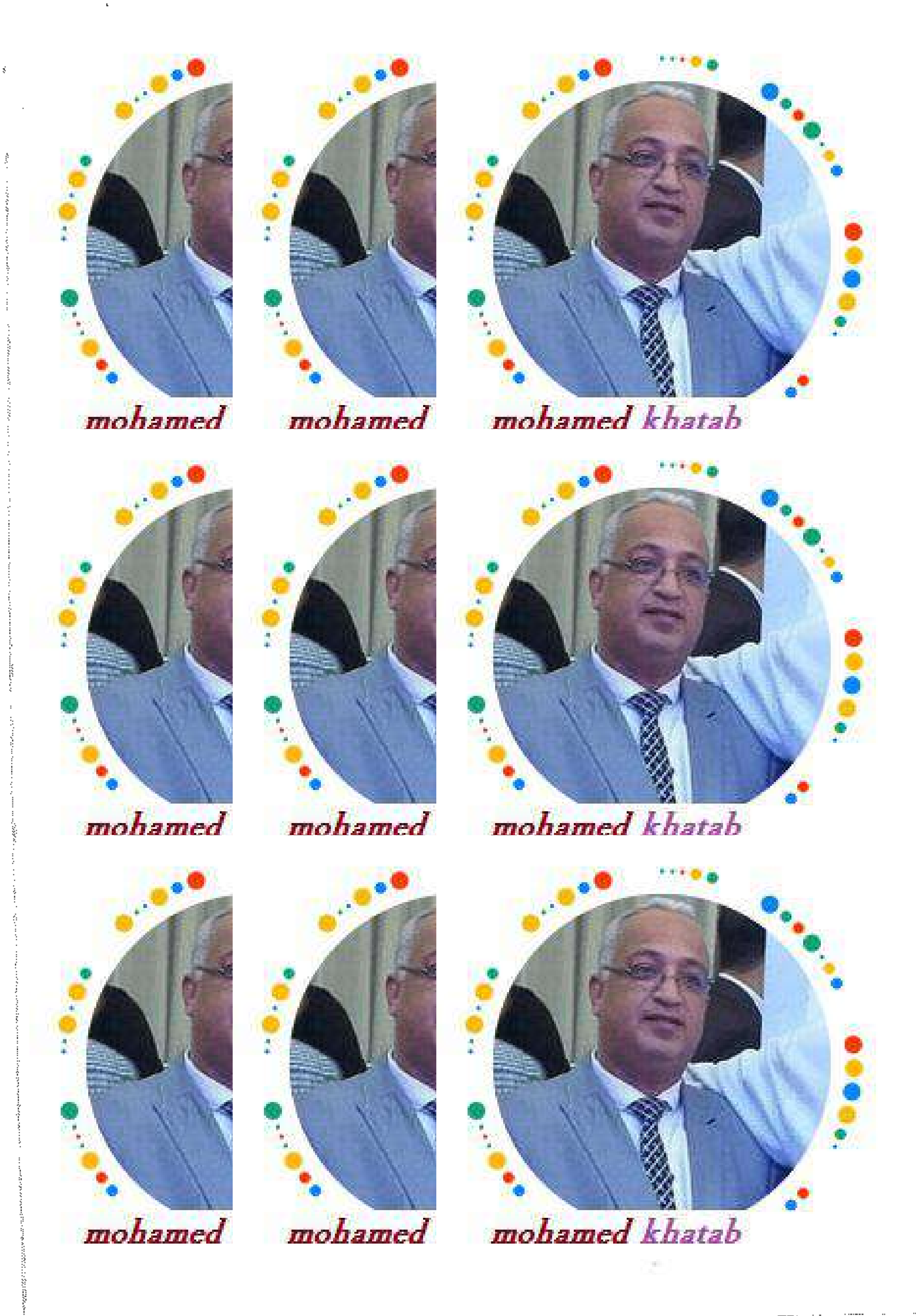
رحلات مارك سايكس في العراق العثماني

ترجمة وتقديم: د. أحمد عبد الوهاب الشرقاوي - محمد علي ثابت



خطوات قبل صناعة الشرق الجديد

رحلات مارك سايكس في العراق العثماني


mohamed
mohamed
mohamed khatab
mohamed
mohamed
mohamed khatab
mohamed
mohamed
mohamed khatab

المركزُ الثقافيّ الآسيوي

مشروعُ الرّحلات

(٣)

خطوات قبل صناعة الشرق الجديد

رحلات مارك سايكس في العراق العثماني

ترجمة وتقديم

الدكتور/ أحمد عبد الوهاب الشرقاوي أ. محمد علي ثابت





إهداء

إلى الصّديق، والأخّ، والأب

الدّكتور/ **عطيّة الويشي**

دمتَ نبيلًا راقيًا

فيّاضًا بالحبّ والخير.

أحمد الشرقاوي



مشروعُ الرّحلات

الرّحلة هي متعةُ التّاريخ وتاريخُ المتعة، والرحلة هي لذّةُ المشقّة، وعين الجغرافيا، ومنظارُ الفلك، ومسبارُ الأنثروبولوجيا، وجسرُ الخبرات بين الأمم، وهمزة الوصْل بين الشّعوب، والرحلةُ هي سفير السّلطان، ووثيقةُ المؤرّخ ومكتبة العالم وحنكةُ السياسي ورافدُ الأديب الذي لا ينضب.

ويكأنّ الإنسان مخلوقٌ رحّالة، من عصر إلى عصر، ومن مرحلة إلى أخرى، يعيش حياته متنقّلًا عبْر الزّمان والمكان، يرتادُ الآفاق، ويخترقُ الأعماق، ما بين إسراءٍ بالجسد، ومعراجٍ بالرّوح، وسياحةٍ بالعقل.

ولا أظنّني مبالغًا فيما وصفت؛ فقد بدأتِ الرّحلة منذ برهةٍ وجيزة تعود لتكشف عن أهميّتها في المجال البحثي الأكاديمي، وترتقي مرّةً أخرى مكانتُها التي تبوّأتها من قبْل كإحدى رائداتِ العلم؛ مصدرًا ومنهاجًا.

فالرحلةُ تمنح الباحثَ في التّاريخ والجغرافيا والسّياسة والاقتصاد والأنثروبولوجي والآثار... وغيرها من مجالات العلم، تمنحُهم مصدرًا ثريًّا وواقعيًّا نابضًا بالحياة، بعيدًا عن رتابة كتب الوقائع، ومللِ كتب الحوليّات، وجفاف كتب التّاريخ الرسمي، ونفاقِ المؤرّخين المكلّفين، وجمودِ جامعي الأخبار وناقلي الروايات.

الرّحلة- إذا أحسنَ القارئ قراءتها والكاتبُ تدوينها- تصيرُ حياة ثلاثيّةَ الأبعاد يحياها القارئ والمستمع، فتعطيه العلمَ مع المتعة، والخبرةَ مع المعايشة، والدقّةَ مع الواقعية، والعمقَ مع الثّراء.

ويبدو الآن الاتّجاهُ قويًّا لدى الباحثين والمحقّقين في الاعتماد على كتب الرّحلات، سواء العناية بتحقيقها وإخراجها من مظانّها، وسواء بالاعتماد عليها كمصدرٍ أكاديمي،

وهو ما يُعطي قفزةً نوعيّة في البحث العلمي، شريطة الانتخاب الواعي والاستشهاد الممحّص، والاستنتاج المنطقي، والنّظرة الفاحصة، والاستقراء المتأنّي المتدرّج، الذي يصفّ الجزئيات بعضًا إلى بعض، فيرسم منها لوحة فُسيفساء، ولا يفعل العكس، فيعمدُ إلى اختلاق التّعميات من الأحداث الجزئية، ولا يعتمدُ على الغثّ في إدامه، ولا الهزيل في طعامه.

وعلى قدر ما تحملُ الرّحلة من أهمية، لا تخلو أيضًا من زلّات، قد تكثر فتصبح مضلّلات، إذ نرى بعضَ الرّحالة يأتي إلى قطرٍ غريب عن مشاربه، وهو يحملُ في جُعبته خلفيّته الثّقافية والعقائدية، محبًّا أوْ كارهًا، عميق الثقافة أو ضحْلها، فاحصَ النّظرة أو سريعَ الانفعال، متقلّبَ الآراء والأحوال، بل ترى البعض يكذب مدّعيًا أنّه رأى ما لم يره الآخرون، واطّلع من الأسرار على ما لم يستطعْه غيره، فيستجلبُ إعجابَ القارئ والمستمع على حساب الحقيقة والواقع.

لكنْ بين أهمّية الرّحلة وخطورتها، يقف الباحث المدقّق صاحبُ النظرة الفاحصة، فيستشفّ الحقائق، ويستنبط الأسرار، ويستنتجُ ما وراء الأحداث، ويقرأ ما بين السّطور.

ونحن في «المركز الثّقافي الآسيوي» نحاول من خلال «مشروع الرحلات» أنْ نقدّم مجموعةً منها في شتّى المناطق والعهود لتغطية أكبر مساحة ممكنة في الزمان والمكان لتكون حلقاتٍ مسلسلةً في التاريخ، وخبراتٍ متوارثةً في الجغرافيا، ومعلوماتٍ متراكمةً في غيرها من العلوم، ومنبعًا ثريًّا وغيرَ تقليديّ في البحث العلمي..

ومن خلال هذا المشروع نفتح البابَ للتعاون مع الباحثين والمحقّقين والمترجمين للتّواصل والتّعاون؛ كي نسهمَ- جميعًا- في السّعي نحْو خطوة جديدة في طريق التّقدم.

واللهُ وليّ التوفيق.

المقدّمة

مارك سايكس، هذا الاسمُ الإنجليزي ذو الوقع الخاصّ لدى العرب؛ حيث يرتبط بالانْتداب أو الاحتلال البريطاني للمنطقة؛ بل اختياره لمسمّيات هذه البلدان، وتحديد جغرافيّتها السياسيّة التي مازالت قائمةً حتّى الآن، فقد كان أحدَ أثمن وأبرز الروافد المعرفيّة التي أمدّت الوزارات البريطانية في مطلع القرن العشرين بمعلوماتٍ حول المنطقة العربيّة، واتّخذت طريقَها مباشرة إلى الجهات التّنفيذية وصانعي السياسات ومتّخذي القرار، وكانت المحصلةُ النهائية لهذه المعلوماتِ هي صياغةَ الاتفاقية التّآمرية الاستعمارية المعروفة بـ «اتفاقيّة سايكس/ بيكو».

وعلى هذا يكون مارك سايكس هو الرّحّالة الأهمّ والأشهر إلى المنطقة العربية، والمتوّج لجهود معظم هؤلاء ذوي الأغراض السياسية والاقتصادية والأيديولوجية، والإمبريالية بصفة عامّة.

وربّما تفيد تلك التّرجمة التي قدّمناها عن حياة مارك سايكس في معرفة الخلفية الأيديولوجية للرحّالة والسياسي صاحبِ الأثر الأكبر في الجيوسياسية العربية.

ورغمَ مؤلّفات سايكس التي نشرها مبكّرًا بما فيها كتب الرّحلات؛ إلّا أنّها تخلو من كتابٍ عن رحلاته للمنطقة العربية أو العراق بصفة خاصّة.

والكتابُ الذي بين أيدينا هو مجموعةُ مقالات نشرها في بعض الدوريات العلميّة البريطانية المتخصّصة في الجغرافيا والأنثروبولوجيا، وهي أربعة مقالات كالتّالي:

المقالةُ الأولى: القبائلُ الكُرديّة في الإمبراطورية العثمانية

The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire.

ومصدرها:

The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland، Vol. 38 Jul. - Dec.، 1908)، pp. 451-486

المقالة الثّانية: رحلات في شمال ما بين النّهرين

Journeys in North Mesopotamia

ومصدرها:

The Geographical Journal، Vol. 30، No. 3 (Sep.، 1907)، pp. 237-254

المقالة الثّالثة: رحلات في شمال ما بين النّهرين

Journeys in North Mesopotamia (Continued)

ومصدرها:

The Geographical Journal، Vol. 30، No. 4 (Oct.، 1907)، pp. 384-398

المقالة الرّابعة: الانحناءُ الغربي لنهر الفرات

The Western Bend of the Euphrates

ومصدرها:

The Geographical Journal، Vol. 34، No. 1 (Jul.، 1909)، pp. 61-65

وقد قدّمنا التّرجمة للمقالات الأربعة دون أيّ تعقيب أو تعليق منّا، ففي هذا الكتاب نقدّم مادّةً علميّة للباحثين، وهي على قدرٍ كبير من الخطورة والأهمية، وتحتاج إلى الدّراسة بعناية من جهتين:

- الأولى: من جهة المعلومات الأنثروبولوجية والجغرافية القيمة والخرائط التفصيليّة التي تفرّد بها سايكس عن القبائل الكُردية.

- والثانية: من جهة النّتائج السياسية المترتّبة على معلومات سايكس التي أمدّ بها الدّوائر العلمية والسياسية والحربية في بريطانيا.

مع الأخذِ في الاعتبار الخلفيّة الثقافية والسياسيّة التي كان يحملها سايكس، والتي تبرز – إلى حدّ ما – رؤية الرحالة والساسة الإنجليز خاصّة، والأوروبيّين عامّة، للبلاد والشعوب العربية وديار الإسلام التي عناها سايكس في كتبه.

ولا بدّ هنا من التّنويه إلى أنّ المقالة الأولى قد نشرت[1] من قبل بترجمة الأستاذ الدكتور خليل علي مراد، فلَهُ فضلُ السّبق والرّيادة، كما قام بمراجعتها الأستاذ الدّكتور عبد الفتاح علي بوتاني، وتصحيح الأخطاء في أسماء القبائل التي أخطأ فيها مارك سايكس، فله فضلُ التّحقيق والتّدقيق، ولم نغفلْ بالطّبع هذه الترجمة، ولا تلك التّصحيحات؛ بل استفدنا منها في تدقيق أسماء القبائل، فلأستاذينا الكريميْن كلّ التّقدير والامتنان.

وها هو مارك سايكس يعودُ من جديد إلى العراق وإلى المنطقة العربية كلّها؛ ليطرح مؤامرةً جديدة، وتقسيماً جديدًا؛ هو أنْكى وأقسى، وأكثر تفتيتًا ممّا وقع منذ قرن، ولم نتعلّم بعدُ من أخطاء التّاريخ، ولا من حيلِ ومؤامرات محرّكيه.

---

(١) طبعة دار الزمان ٢٠٠٧م، للصديق العزيز الأستاذ / سراج عثمان.

أَرَى خَلَـلَ الرَّمـادِ وَمِيضَ جَمْـرٍ ... ويُوشِـكُ أنْ يكُـونَ لـه ضِرامُ
فـإنْ لَمْ يُطْفِـهِ عُقَـلاءُ قَـوْمٍ ... فـإنَّ وَقُـودَهُ جُثَـثٌ وهـامُ
فـإنَّ النَّـارَ بالعُودَيْـنِ تُذْكَـى ... وإنَّ الحَـرْبَ أوَّلُهـا كَـلامُ
فقلتُ مِن التَّعَجُّب: لَيْتَ شِعْري! ... أأيْقَـاظٌ أمَيَّـةُ أمْ نِيَـامُ
فـإنْ يَـكُ قَوْمُنـا أمْسَـوْا رُقُـودًا ... فقُـلْ: هُبُّـوا، فَقَـدْ حـانَ القِيـامُ
تَعَـزَّوْا عـن زَمانِكُـمُ وقُولُـوا: ... علـى الإسْـلامِ والعَـرَبِ السَّـلامُ

وبعد، فتلك حكمةُ التّاريخ ودروسه، فلنتعلّم، والله يهدي سواء السبيل.

أحمد الشرقاوي

القاهرة – ٢٠١٣م

harpgeneration@yahoo.com

مارك سايكس Mark Sykes

(١٨٧٩–١٩١٩م)

رحّالة إنجليزي، ودبلوماسي وسياسي في حزب المحافظين الإنجليزي، مهتمّ بقضايا الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الأولى، الكولونيل مارك سايكس، البارون السادس.

ولد تاتون بنفينو مارك سايكس Tatton Benvenuto Mark Sykes في مارس ١٨٧٩ – ١٦ فبراير ١٨٧٩. وكان هذا الاسم مرتبطًا باتفاقية سايكس/ بيكو، وكان يخطّط لهذه الاتّفاقية أثناء أحداث الحرب، لا سيّما الجزء الخاصّ بتقسيم الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب، حسب نصيب كلٍّ من بريطانيا وفرنسا وروسيا.

مطلع حياته:

مارك سايكس كانَ الطفلَ الوحيد لوالده السيد تاتون سايكس Tatton Sykes – البارون الخامس– الذي بلغَ الثّامنة والأربعين سنة وهو عازبٌ ثري، ثمّ تزوّج كريستينا أنا جاسيكا كافينديش بينتينك Christina Anne Jessica Cavendish-Bentinck، والتي كانت تصغره بحوالي ٣٠ سنة، وتقول عدّة روايات أنّ أمّه أجبرت تاتون سايكس Tatton Sykes على الزّواج من كريستينا Christina. كما أخبرت التقارير أنّهما كانا زوجيْن غير سعيدين. وبعد إنفاق الأموال الطّائلة لسداد ديون زوجته، نشر تاتون سايكس خبرًا في الجرائد يفيدُ بإنكار ديونِها المستقبلية، ويوضّح رغبته في الانفصال القانوني عنها.

السّيدة كريستينا سايكس عاشت في لندن، وقسّم مارك سايكس وقتَه بين منزلها والعمل في مجال العقارات في يوركشاير East Riding of Yorkshire فيما يصل

إلى ٣٠٠٠٠ هكتار (١٢٠ كيلو مترًا مربعًا) من ممتلكات والده. وكانت إقامتهم في سليدمر هاوس Sledmere House.

السيدة كريستينا سايكس حوّلت ديانتها إلى الرّوم الكاثوليك، وكان مارك قد تمّ تعْميدُه على هذا المذهب وهو في الثّالثة من عمره، وعلى كلِّ الأحوال كان سايكس كاردينالًا كاثوليكيًّا.

وكان مارك سايكس يسافرُ في أغلب فصول الشّتاء بصحبة والده إلى الشرق الأوسط، وخاصّة الإمبراطورية العثمانية. وزار- أيضًا- دولَ حوض البحر الأبيض المتوسط، كما زار مصر، والهند، ودول الكاريبي، والمكسيك، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا؛ ولكنّه كان أكثر اهتمامًا بالشئون التركية.

وفي ١٨٩٧ تمّ تجْنيده في الفرقة الثّالثة من المقاومة الشعبية مع جرين هوارد Green Howards.

تلقّى مارك سايكس تعليمه في كلية بيومونت Beaumont College في وندسور Windsor، وفي الكلية الكنسية في كامبريدج[1]، وفي سنّ الخامسة والعشرين نشرَ نحو أربعة كتب في الفنون والتدريبات العسكرية والرحلات: منها «دار الإسلام» عام ١٩٠٤، و»رحلة عبر خمس مقاطعات تركية» عام ١٩٠٠، ولاحقًا كتَبَ مارك- أيضًا- كتاب «الميراث الأخير للخليفة» وهي قصّة مختصرة للإمبراطورية العثمانيّة، وكان كتابًا آخر أقربَ إلى فنّ الرّحلات أكثر منه تاريخًا.

حربُ البوير، الرحلات، والبرلمان:

سايكس الوريثُ لعقارات يوركشاير ومنصب البارونية، لم يقتنع بانتظار أنْ يتمّ توريثه، ولكنّه انضمّ لحرب البوير لمدّة سنتين، وانتظم في العمل كجندي في مهنة

(1) Mark Sykes in Venn, J. & J. A. Alumni Cantabrigienses, Cambridge University Press, 10 vols, 1922–1958..

الحراسة، ممّا أتاح له التعرّض لكثيرٍ من الحوادث في العديد من المناسبات؛ فقد سافر إلى أماكن عديدة، وخاصّة إلى دول الشرق الأوسط.

منذُ عام ١٩٠٤ إلى ١٩٠٥ كان سكرتيرًا برلمانيًّا لرئيس وزراء أيرلندا جورج ويندهام George Wyndham، ولاحقًا عملَ كملحق فخريّ في السفارة البريطانية لدى الدّولة العثمانية في القسطنطينية/ استانبول Constantinople.

كان سايكس من كبار النّبلاء، يعيش حياةً نشطة في قريته في سلدمير هاوس Sledmere House، يقوم بتربية خيول السّباق، وكان يتزعّم وحدات الميليشيا- المقاومة الشّعبية- كما يقوم في بلدته بالتزاماته الاجتماعية.

لقد تزوّج من السيدة/ إديث جورست Edith Gorst، وكانت هي- أيضًا- من الرّوم الكاثوليك، ولقد كان زواجًا سعيدًا، وقد أنجبوا ستّة أطفال، ثمّ نجح سايكس في الوصول إلى البارونية والإمارة في عام ١٩١٣.

في عام ١٩١٢، كان سايكس قد انتُخب كعضو في البرلمان عن حزب المحافظين، وبعد موسميْن فاشلين حاول في دائرةٍ انتخابية أخرى. وعندها أصبح مقرّبًا إلى اللورد هيوج سيسل Hugh Cecil وهو عضوٌ آخر في البرلمان، والذي كان مقرّبًا للسيد إف. إي. سميث F. E. Smith، وأخيرًا اللورد بيركينهيد Birkenhead وهيلير بيلوك Hilaire Belloc، وهُم يحملون الجنسية الفرنسية إلى جانب الجنسية الإنجليزية.

كان سايكس- أيضًا- صديقًا لأوبري هيربرت Aubrey Herbert، والذي كان رجلاً إنجليزيًّا مؤثّرًا بشدّة في شئون الشرق الأوسط، وتعارف مَع جيرترود بيل Gertrude Bell، مُستشارة وزارةِ الخارجية المؤيّدة للعربِ، وأحدُ أشهر الرحالة إلى الشّرق الأوسط، لم يكن سايكس Sykes يكرّس جهوده لهدفٍ واحد كمدافع عن الشّئون العربية مثل السيدة بيل Bell وأصدقائها، ت. إ. لورانس T.E. Lawrence، والسيد بيرمي كوكس Percy Cox؛ لكنّه وسّع دائرة اهتماماته

وتعاطفه جهة الأرمن والعرب واليهود، بالإضافة إلى الأتراك. وربّما ينعكس هذا في الغرفة التركية، حيث قام بتركيب بعض الدّيكورات في قصره في سليدمير هاوس Sledmere House مستخدمًا فنّانًا أرمينيًّا كمصمّم.

تحتَ رعاية كيتشنر:

عندما اندلعتِ الحرب العالمية الأولى، كان المقدّم مارك سايكس الضابط الآمرَ لوحدة احتياطيّ للكتيبة الخامسة في جرين هيوارد Howard green، على أية حال هو لّم يقُدْهم في المعركةِ ولم ينزل إلى الميدان، ولكنّه عمل بمواهبه كضابط في مكتبِ اللورد كيتشنر Lord Kitchener وزير الحربية، حيث عيّنه كيتشنر كعضو بلجنة دي بينسن de Bunsen لتقديم النّصائح للوزارة بخصوص شئونِ الشرق الأوسط.

على الرّغم من أنّ سايكس لم يتعرّف على كيتشنر جيدًا، إلّا أنّهما اشتركا في وجهةِ نظر واحدة، كما أنّ سايكس قد حاز على ثقته الكاملة، وقد أصبح بسرعة هو الشّخصَ المسيطر على هذه اللّجنة، وحاز بهذا التأثير الأعظم على الرأي في القضية الشّرق أوسطية، وبتشجيعٍ من سايكس؛ تمّ إنشاء المكتب العربي.

كما كانَ سايكس هو وأتباعُه ضمن المجموعةِ الذين استعادوا اللغة اليُونانيّة القدِيمةَ والأسماءَ الرومانية في تسمية بلدان منطقة الشرق الأوسط.

وهذا مثل استعمالِ الأسماء الشّائعة الاستخدام الآن مثل: «سوريا» اليوم، «فلسطين»، «العراق» و«ما بين النهرين». وصمّمَ علمَ الثورةِ العربية، كما أنّه هو الذي قام- أيضًا- بتصميم الأعلام العربية، المكوّنة من الألوان الأخضر والأحمر، والأسود والبيض. والاختلافاتُ التي في تصميمِه الآن هي في أعلام الأردن والعراق وسوريا وفلسطين[1].

(1) Easterly, William (2007-02-27). The White Man's Burden: Why the West's Efforts to Aid the Rest Have Done So Much Ill and So Little Good. Penguin (Non-Classics). pp. 295.

لغزُ الإستراتيجية البريطانية: العسكريّون يحملون راية الثورة العربية:

كانت وجهةُ نظر سايكس تتوافق- بشكلٍ كبير- مع السياسيّين البريطانيين المُحافظين، التي استمرّت لمدّة طويلة تعتبر الإمبراطوريةِ العُثمانيةِ كحائطِ صدِّ ضدّ التوسّعِ الرّوسي في منطقة البحر الأبيض المتوسط. وقد خَافتْ بريطانيا بأنْ تتّجه الخططُ الرّوسيةَ نحو الهند، والتي كان استعمارها أكثرَ أهميّة. كما أنّ أيّ أسطول روسيّ في البحر الأبيض المتوسطِ قَدْ يَقْطعُ طرقَ البحرِ البريطانيةِ إلى الهند، والتي تعتبر أهمّ المستعمرات. وقد كان كبارُ رجال الدّولة البريطانيون والمنتمون لحزبِ المحافظين يتبنّون ويتوارثون وجهةَ النّظر هذه، مثل: بالمرستون Palmerston وساليزبوري Salisbury وديزرائيلي Disraeli.

وقد كان زعيمُ حزب الأحرارِ في القرن التاسع عشرَ William Ewart وليام جلادستون، الأكثرَ نقدًا لحكومةِ الإمبراطورية العُثمانية، والذي كان يَستهجنُ الأعمال القمعيّة ضدّ الأقلّيات، وخصوصًا الأقليّة المسيحية لا سيّما الأرمن. كما أنّ وريثه التحرّري David Lloyd George ديفيد لويد جورج، شاطره في وجهاتِ النظر هذه.

وعلى الرّغم أنّ بريطانيا لم تكنْ قد دخلت في حربٍ مع تركيا، ولكنها احتاجت إلى إعادة النّظر في هذه الأفكار. وقد كان سايكس في وسط هذه الأحداث، وذلك من خلال اتّصاله مَع كيتشنر، وظهر وضعان متعارضان على السّطح بسرعة:

حيث فضّلَ البعضُ مؤازرة القضية العربيةَ في مفاوضات ما بعد الحربِ ضدّ تركيا، والآخرون يَروْن تفضيل الدّول التابعةِ الصديقة، والتي تقع على المَناطقِ السّاحليةِ على طول البحرِ والخليج الفارسي في الطريق إلى الهند، وبالتالي افترضوا أهميّة جديدة لهذه الأقطار. وَرأى الآخرونُ الحاجةَ للاحتفاظ بتركيا قويّة خشية أنْ تَدْخلَ روسيا لتشغل الفراغَ، وتستولي على استانبول والمضايق.

وبطريقة معقّدة كَانتْ هذه رغبةَ فرنسا، وذلك لتضمن الأراضي في الشرق الأوسطِ، خصوصًا في سوريا، حيث كان هناك أقليّة مسيحيّة مهمّة.

وعلى الجانب الآخر، تقدّم الحليف الآخر- إيطاليا- بادّعاءاتٍ للدّخول إلى الجُزُرِ الإيجية Aegean Islands، وذلك لحمايةِ الأقلّياتِ المسيحيةِ في آسيا الصغرى.

ثمّ إنّ هناك ادّعاءات روسيةً أخذت في الاعتبار، خصوصًا فيما يتعلق بالسّيطرةِ على المضايقِ التي تصلُ مِنْ البحرِ الأسود إلى بحر إيجة، وحمايةِ الأقلية المسيحية الأرمنيّة، وكذلك حمايةِ ساحل البحر الأسود.

والمشكلةُ الأخرى كَانتْ رغبةَ اليونان في إعادة احتلال الأراضي البيزنطيةِ التّاريخية التي ادّعت أنّها تابعة لها في آسيا الصغرى وتراقيا Thrace، وهذه الادّعاءات تَضاربتْ مع ادّعاءات روسيا وإيطاليا، وكذلك تركيا.

وقد أيّد رئيس الوزراء البريطاني ديفيد لويد جورج (١٩١٦-١٩٢٢)، القضيّةَ اليونانية. وكان هذا التأييدُ مقابلَ تأييد رغبةِ الصّهاينة في أنْ يَكُونَ لهم وطن يهودي في فلسطين.

وكانَ هذا هو الدّورَ الخاصَّ لسايكس لعقد اتّفاقية مَع حليفِ بريطانيا الأكثر أهميّةً- فرنسا- والتي كانتْ تَتحمّلُ الجهدَ الأكبر في الحربِ ضدّ ألمانيا.

وكانَ نظيره الفرنسي فرانسوا جورجيس بيكو François Georges-Picot وهو يُحسّ عمومًا بأنّ بيكو Picot عقد صفقة أفضل مِما كان متوقّعًا، ممّا أثار ضيق مارك سايكس (انظر اتفاقية سايكس بيكو).

وعدُ بلفور:

ويقرّ الشّهود والأدلّة بأنّ سايكس كانَ له اليدُ الطّولى للتّرويج لوعد بلفورِ والذي صدرَ في ٢ نوفمبر/ تشرين الثّاني ١٩١٧م[1].

(1) Balfour Declaration. (2007). In Encyclopædia Britannica. Retrieved August 12, 2007, from Encyclopedia Britannica Online..

وقد ذَكرَ أنّ: «وجهة النّظر الصّائبة لحكومة جلالة الملك، والمؤسسة في فلسطين، والخاصّة بإنشاء وطنٍ قوميّ للشعب اليهودي، وأنّ هذه ستبذل أقصى مساعيها لتَسهيل إنجازِ هذه الاتفاقيات، على الرّغم من وضوح أنّ هذه الاتفاقية سَتؤدّي إلى الإضرار الكبير بالحقوق المدنية والدّينية للجالياتِ غير اليهوديةِ الحاليةِ في فلسطين...».

على أيّة حال، كتب سايكس لاحقًا رسالةً إلى الملك فيصل- ملك العراق- الذي فيه أبدى وجهاتِ النّظر المعادية للسّامية: «.... هذا الجنس، محتقر وضعيف، مشتّت، وقويّ جدًّا، ولا يُمْكن وضعهم هنا»[1].

المَوتُ المبكّر:

كانَ سايكس Sykes في باريس في عام ١٩١٩، وذلك للعمل في مفاوضات السّلام. وفي أثناء انعقاد المؤتمر، قدّم الدّبلوماسي الصغير هارولد نيكولسون Harold Nicolson كلمة وَصفَ فيها تأثيرَ سايكس؛ فقال: «لقد أنجزت الاتفاقية بسببِ دفعته القويّة وخدماته الجليلة، كما يرجع إلى حماسه وإيمانه ومثابرته، وأصبحت القوميّتان العربيةُ والصّهيونيةُ مِنْ أقوى وأنجح أسبابِ حروبنا».

لقد توفّي مارك سايكس في غرفتِه في فندقِ لوتي Hotel Lotti في ١٦ فبراير/ شباطِ ١٩١٩، عن عمرٍ يناهز ٣٩ عامًا؛ جرّاء وباءِ الأنفلونزا الإسباني. وتمّ إعادة جثّته إلى مسقط رأسه في سليدمير هاوس في يوركشاير لدفنها.

وعلى الرّغم من أنّه كانَ رومانيًّا كاثوليكيًّا، إلّا أنّه دُفِنَ في باحةِ كنيسةِ أنجليكانية محليّة- كنيسة ماري في شارع سليدمير.

---

(1) Book review, Philip C. Wilcox, Jr., Politicalreviewnet. com/ Middle East Policy Journal, quoting ‹Jews and Arabs under the British Mandate›, Tom Segev, Metropolitan Books/Henry Holt & Company, New York, 2000.

وكَتَبَ نعوم سوكولوف Nahum Sokolow – وهو زميل صهيوني روسي– لتشيم وايزمان Chaim Weizmann في باريس في هذا الوقتِ؛ كَتبَ بأنّه يشعر بأنّه: "... بطل بجانبِنا".

نبشُ قبر مارك سايكس لعمل تحليلات حيويّة:

في عام ٢٠٠٧، وبعد ٨٨ سنة بعد وفاة السيد مارك سايكس، حاول العلماء أخذَ موافقةِ أحفاد سايكس لتشريح جثته؛ لإجراء التّحاليل العلمية عليه برئاسة السيد/ جون أكسفورد John Oxford، وبعد الموافقة تمّ فتح القبر في منتصف شهر سبتمبر عام ٢٠٠٨ [١].

وقد كَانتْ جثّته مدفونةً باهتمام شديد، حيث كانَ قَدْ دُفِنَ في تابوت من الرّصاص، وكانت هناك اعتقادات أنّه من المحتمل أنّ جثّته تحمل فيروسات حيّة من فيروس الأنفلونزا الأسبانية Spanish Flu. والعيّناتُ التي تمّ أخذها من جثته تمّ استعمالُها في البحوثِ العلمية، وذلك للسّعي لتَطوير علاجات ضدّ أوبئةِ الأنفلونزا في المستقبل؛ حيثُ اكتُشف أنّ فيروس الأنفلونزا الأسباني انتقلت عدواه إلى الإنسان مِن طيور مُصابة بنفس الفيروس، والمسمّى حاليًا بفيروس «H1N1». وهناك خمس عيّناتٍ أخرى فقط موجودةٌ مِنْ فيروسِ الأنفلونزا الأسباني[٢].

كان الدّكتور/ أكسفورد وفريقُه يتوقّع وجودَ بئرٍ من الإسرار في قبر سايكس[٣].



(1) Body exhumed in fight against flu, BBC online, 16 September 2008..

(2) BBC Four documentary. In Search of Spanish Flu.

(3) Michael Hanlon Could digging up a general in a lead-lined coffin save the world? Daily Mail 11 April 2007.

رحلات مارك سايكس في العراق



المقالةُ الأولى

القبائلُ الكُرديّة في الإمبراطوريةِ العثْمانية

مارك سايكس **Mark Sykes**



مقدّمة

إنّ المعلوماتِ والموضوعات التي سأطرحُها عليكم في الصّفحات التالية هي حصيلةُ رحلةٍ على ظهر الحصان بلغت ٧٥٠٠ ميلًا، وبعضُ المحادثات التي دارت بيني وبين رجال الشّرطة وسائقي البغال، وملالي وشيوخ القبائل، ورعاة الأغنام، والمتعاملين بالخيول، وكذلك سعاة البريد، وغيرهم من الأشخاص المؤهّلين لمنحي معلوماتٍ صحيحةً وقيّمة.

ورغمَ خشيتي أنّ هذه المعلومات ليست جيدةً بالقدر الكافي؛ إلّا أنّني أتمنّى أنْ تكون خيرَ مُعين لرحالة المستقبل.

وبما أنّني لم أجدِ الكثير عن هذا الموضوع مكتوبًا باللغة الإنجليزية حتى الآن، فإنّني لم أتمكّن من دراسة الكُرد بطريقة ببليوجرافية (مرجعيّة).

ولكنّني على يقينٍ تامّ أنّ هذا لن يقلّل من قيمة هذا العمل، وأحبّ أنْ أعلمكم أنّني خلالَ سفرتي الأخيرة كان من ضمن خدمي ممثّلون من الأقسام الكُردية الثلاثة الأكثر أهميّة، ولهذا فقد كان من السّهل الحصولُ على مترجمين لتسهيل مهمّتي، حيث إنّ الأمر يكون شاقًّا بعضَ الشّيء في وسط اللّهجات المتعدّدة للبدو الرحّل والجبليّين المقيمين هناك.

لقد حاولتُ خلال إعدادي لهذا الكتاب أنْ أبسّط عمل طلّاب المستقبل، وذلك من خلال ترتيب علاماتٍ وفهرسة بقدرِ العشائر التي لفتت انتباهي بشكل مباشر أو غيره.

وبعد عدّة محاولات باءتْ بالفشل توصّلت- أخيرًا- إلى طريقة تكون أكثر سهولةٍ لمَن يقرأها؛ حيث قرّرت تقسيمَ الأقاليم التي يسكنها الكُرد إلى ستّة أقاليم،

وجعلت لكلّ قسم جزءًا خاصًّا من الفهرس، ورقّمت كلّ قسم على حدة بحيث يسهل إيجادُ القبائلَ في القائمة المرتَّبة على الحروف، فمثلًا إذا أَردت البحث عن قبيلة ميرزكي Merzigi (التي تحمل الرقم B76) في القسم A، فيجب على القارئ أنْ يبحث عن الرقم A في المنطقة على الخارطة.

أمّا الحرف B في تلك السلسلة فيرمز إلى المكان التي توجد به هذه القبيلة.

كما سيجدُ القارئ التفاصيلَ التي استطعت إعدادَها تحت الرقم ٧٦ من القسم A المطبوع في المتن.

وقبل أنْ أنهي هذه المقدّمة ينبغي عليّ أنْ أخبركم أنّ المناطق والمؤشرة على الخارطة لا تمثّل تصنيفًا إثنولوجيًّا، وإنّما هي مجرّد تصنيف مناسب.



القسم A

المدخل

لقد أردتُ أنْ يكون هذا هو القسمَ الأوّل الذي يجب أنْ يُبحث؛ لأنّ الكُرد المقيمين به هُم من سلالة الكُردويني Cordueni الذين أنهكوا انسحاب كزينوفون Xenophon نتيجة لقيامهم بغاراتٍ متكرّرة، ولأنّ هذا يعتبر الظّهورَ الأوّل الكُرد كُردفي التاريخ.

الحدودُ العامّة للمنطقة وسكّانها:

تمتازُ هذه المنطقة بكوْنها كثيفة السّكان، ويحدّها من الجهة الشمالية بحيرة وان وسهل أرمينيا الواسع المرتفع، ومن الجهة الغربية يحدّها نهر دجلة، أمّا من الجنوب فيحدّها سهول العراق.

ويبدو واضحًا أنّ أغلبية سكّان هذه المنطقة من الكُرد، إلّا أنّنا على كلّ حالٍ لدينا عنصرٌ أجنبيّ لا بأسَ به في السهول، كما أنّ هناك بعض القبائل التي سأذكرها لاحقًا ليست كُرديّةَ الأصل؛ وإنّما هي فروعٌ من بعض الشعوب الأخرى التي اندمجتْ بالعرق الجبلي الأصلي.

ويُمكننا اعتبار تلك الفروع الأجنبية أو غير الكُرديّة مثل سكان الموصل العرب إلى (الآراميين، والآراميين الأتقياء) الذي يتمثّلون في المسيحيّين النّساطرة واليعاقبة في عين كاوه وعقره وكويسنجق، والأقوام التّركية في ألتون كوبري وكركوك وأربيل، والبدو والفلّاحين على ضفاف نهر دجلة، وفي السّهول الواقعة شرقي الموصل.

وهناك مجموعتان من السّكان اللّتان تساورني الشّكوك عندهما في هذه المنطقة وهما (الشبك رقم ٥)، (البيجوان رقم ١٠)، والمسيحيّون النساطرة المقيمون في حكاري والعمادية وزاخو.

إنّ وجود المجموعة الأخيرة، أيِ النساطرة، قد رمزَ إليه على الخارطة بعلامة الصّليب الأسود.

والأمرُ المتعلّق بنا إذا كان هؤلاء المسيحيّون النساطرة موجودين في حكاري والذين لديهم تنظيمٌ قبلي، من الكُرد المحليّين أو المسيحيّين اللاجئين أو هاربين من فرع أرامي؛ فهذا الأمرُ مازال قيدَ البحث.. ولم أتأكّد منه بعد، ويرى العديد من وجهاء الكُرد المتعلّمين أنّ نساطرة حكاري هؤلاء من الكُرد الذين اعتنقوا الدين المسيحيّ قبل ظهور الإسلام.

أمّا رجال الدين المسيحيّين فلا يوافقون على هذا الرأي، ويختلفون معه تمامًا.

أمّا أنا، فأجد أنّ كلا الرأيين صحيحٌ جزئيًا، وبأنّ المسيحيّين عندما هربوا من الموصل والعراق؛ لجئوا إلى المسيحيّين الكُرد المقيمين في حكاري.

وهذا الأمرُ يؤكّد أنّ العوائل الأسقفية Episcopal ليسوا إلّا قادمين جدد، أي كما يرجع أصلُ الزّعماء أو الشّيوخ المسلمين الكُرد إلى أمراء العرب.

وإنّني لأشعرُ بالأسف الشّديد لعدم تمكّني من الحصول على تفاصيل عن أسماء القبائل النّسطورية، ولكنّني آملُ أن تحصل عليها البعثة التبشيرية الإنكليزية التّابعة لرئيس أساقفة كانتربري:

English Mission of the Archbishop of Canterbury.

ولهذا يكون النّقصُ قد اكتمل.

أمّا ما يخصّ الكُرد، فأنا أعتقدُ أنّه من الممكن تقسيمُهم إلى ثلاث طوائف:

القسمُ الأوّل، أو الطّائفة الأولى:

ويضمّ الأرقام بدءًا من:

1, 2, 3, 4, 6, 7, 8, 9, 11, 12, 13, 14, 15, 16, 17, 18, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 25,

وهُم سكّان السهول والتّلال الجنوبية شبه الرّحّل.

أمّا القسمُ الثّاني: أو الطّائفة الثّانية:

ويضمّ الأرقام بدءًا من:

21, 26, 28, 29, 30, 31, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 40, 41 A, 44, 48, 52, 53, 53 A, 65, 68, 71 A, 71 B, 71 C, 72, 73.

وهُم عبارة عن القبائل الجبليّة المستقرّة.

أمّا القسمُ الثّالث، أو الطّائفة الثّالثة:

فيضمّ باقي القبائل، ماعدا الرقم ٥٠، وهي عبارة عن الجبليّين شبه الرّحّل.

أوّلًا: الطّائفةُ الأولى:

إنّ القبائل المفهْرَسة تحتَ هذه الأرقام متشابهةٌ في العادات والمظهر، فعادة ما يكونون رعاةً أغنياء، ويقومون بزراعةِ الأرض بغرض المساعدة أو للاحتياط auxiliary فقط.

ولكنّهم في معظم الأحيان يستخدمون عمّالًا غرباءَ للقيام بالزراعة ونقل المحاصِيل التي يتمّ إنتاجها بهذه الطريقة.

كما أنّهم يتمتّعون بخبرةٍ كبيرة في أعمال الحدادة والحياكة وصناعة الخيام؛ حتّى أنّهم قد يتفوّقون على غالبية الكُرد من حيث الذّكاء، وذلك لأنّهم يميلون إلى التّعليم، كما أنّهم يتّصفون بأنّهم رجال أعمال ذوو دهاءٍ ونشاط.

أهمّ صفاتهم:

يعيشُ هؤلاء الكُرد تحت حكم وجَهاء قبيلتين وراثيّين، ولكنّهم ميّالون للمنازعات والعداوات، ودائمًا تنشبُ بينهم الحروبُ والمشاحنات. إنّ هؤلاء الكُرد شبه الرّحّل، الذين يعرفون بكُرد (بابا أو بابان) يشتهرون بفروسيّتهم وشجاعتهم، إلّا أنّهم يقومون ببعض أعمال اللّصوصية، وهم جميعًا فرسانٌ جيّدون وماهرون للغاية في الرّماية، ولكنّهم مؤخّرًا قدْ تركوا السّيفَ والرّمح، وبدءوا باستخدام الأساليب الحديثة كالبنادق.

ومِن ذلك يمكنني أنْ أتخيّل أنّ جيوش الفرسان العظيمة للفرثيين Partians كانوا يحبّذون عن قبائل مماثلة، وذلك يبدو واضحًا؛ حيث إنّ التّطورات التي يتمتّع بها جنودُ سوريناس Surenas وقد ورد وصفها في كتاب حياة كراسوس Life of Crussus للمؤرخ (بلوتارك)، وقد علمت أنّ الوالي الحامي لكُرد بابان هو خالد بن الوليد، فيقولون عنه أنّه هو الذي هداهم لدين الإسلام، وأبعدهم عن الوثنية وعبادة النّار، ولذلك فهو يحتلّ في قلوبهم مكانة عظيمة.

أحوالُ أفرادِ هذه الطّائفة:

إنّ جميع أفراد قبائل هذه الطّائفة مسلمون، ويتّبعون المذهب السني، وتقيم هذه الطّائفة خلال أشهر (تشرين الأوّل، وتشرين الثّاني، وكانون الأوّل، وكانون الثّاني، وشباط)؛ في القرى الواقعة على أطراف الأرقام المؤشّرة على الخارطة.

أمّا بدءًا من شهر آذار.. وحتّى بداية شهر حزيران، فيذهبون إلى الخيام، وخلال هذه الفترة تنتقل الكثيرُ من عائلات هذه القبيلة إلى المنطقة المسمّاة (وزنه Wazna) ومعهم قطعانهم.

أمّا خلال أشهر الصيف، أي في (تموز، وآب، وأيلول) فسواءً كانوا في وزنه أو في أيّ مكان آخر فيقومون بطيّ خيامهم وبناء أكواخ أو عرائشَ للإقامة بها، وتكون هذه العرائشُ من الأغصان الخضراء.

وتستمرّ إقامتهم بها إلى أنْ تزداد برودةُ الجوّ عند إقبال موسم الخريف، وعندئذ يعودون إلى قراهم.

وقد علمتُ- أيضًا- أنّ معظم الأسَرِ البارزة في قبائل هذه الطائفة يتزوجون من عربِ ما بين النّهرين Mesopotamia، كما أنّ نساءهم جميلات بشكل أخّاذ، ويتمتّعون بمقدارٍ كبير من الحرية، حتّى أنّ معظم نسائهم ماهراتٌ في ركوب الخيل والرّماية لدرجةٍ تجعلهنّ منافساتٍ للرّجال، ولكنهنّ لا يقمنَ بأيّ عملٍ يدوي أكثر من صنع الزّبد، وأداء الواجبات البيتيّة العادية.

ثانيًا: الطّائفة الثّانية:

إنّ الجبليّين المقيمين يختلفون تمامًا عن كور البابان من حيث العادات والملبس.

أوّلًا: أعمالهم:

يعملُ أفرادُ هذه الطائفة في الزّراعة؛ بل وهُم مجدّون في ذلك حيث يزرعون كلّ الأراضي التي تتوفّر لديهم، والتي تقع بجوار قراهم، ولديهم مقدرةٌ كبيرة على تحويل جداولِ المياه وبناء السّدود عليها، وحفر القنوات وصرف المياه بغرض ريّ حقولهم المنحدرة (أو المزروعة على شكل مصاطب) في أطراف قراهم.

وتنتجُ هذه الحقول محاصيلَ الشّعير والحنطة والذّرة والأرز، هذا بخلاف إنتاج التّبغ الفائق الجودة.

ثانيًا: مواصفاتهم:

تعيشُ هذه الطائفة تحت حُكم زعماء قبليّين، وهُم يشبهون كُرد البابان، حيث إنّهم في حربٍ مستمرّة فيما بينهم، وجميعُ رجالهم يحملون البنادق والخناجر، كما أنّهم مقاتلونَ وصيّادون بارعون، ويتمتّعون بنشاط كبيرة.

وقد علمتُ أنّه يوجد في كلّ قرية، أو بالقرب منها، بيتٌ صغير محصّن ومبنيّ من الحجر، أو قلعة صغيرة من الحجر المنحوت أو المقطع بالفأس، وذلك ليلجأ إليها الأهالي أثناءَ الحروب بغرض الدّفاع وحماية أنفسهم، وعادة ما تكون تلك الحروبُ دمويّة جدًّا، حيث يكون من المُمكن قتل ستّة أو سبعة أشخاص من مجموعةٍ مكوّنة من عشرين شخصًا، وهذا أمرٌ كثير الشيوع هناك.

ثالثًا: أحوالُ أهالي الطّائفة:

على الرّغم من كوْن أفراد هذه الطّائفة مستقرّين إلّا أنّهم يعيشون في عرائش تقامُ على الأسطح المستوية لمنازلهم، وذلك خلالَ فصل الصيف، أمّا نساؤهم فيختلفون عن نساءِ كور البابان؛ حيث إنّهم لا يرتدون الحجاب ويعاملون معاملة حسنة.

وبعضُ قبائل هذه الطّائفة ترى أنّها قد تحوّلت من الدين المسيحي إلى الدين الإسلامي، ولكنّ معظمهم يقومون ببعض العادات الوثنيّة، ويقيم بينهم عددٌ لا بأس به من العائلات اليهوديّة، وقد علمتُ أنّهم يعاملونهم معاملةً جيدة، ولا يسيئون إليهم أبدًا، ولكنّهم لا يسمحون لهم بحمل السّلاح، أو التدخّل في الحروب والمشاحنات، وبهذا فإنّ اليهود غالبًا ما يخرجون في سفراتٍ تجارية من قبيلة إلى أخرى سواء كانت تلك القبائل صديقة أو عدوّة لهم.

أمّا المسيحيّون النّساطرة المقيمون بين هذه القبائل، فيوجد منهم مَن يعيش في حالة التّابع للإقطاعي، وعادةً لا يملكون أراضٍ أو حصّةً منها، أي أنّهم لا يتساوون مع رجال القبائل المسلمين.

ثالثًا: الطّائفة الثّالثة:

إنّ باقي الكُرد بالقسم A هُم عبارة عن جبليّين شبه رحّل.

أوّلًا: أعمالهم:

جزءٌ من هذه الطّائفة يعملون في الزّراعة، وجزءٌ يعمل في رعي الأغنام، والجزء الآخرُ يعملون كمتعاملين بالخيل، وهُم كثيرو الشّبه بالطّائفة الثانية أكثر من الطائفة الأولى من جهة الملبس.

ثانيًا: مواصفاتهم:

يميلُ أفرادُ هذه الطائفة إلى السّرقة واللّصوصية، كما أنّهم متعطّشون للدماء، ولكنّهم جبناء، وعادةً ما يكونونَ قُساة.

أمّا نساؤهم فهنّ قبيحاتُ الشّكل، ويقومْنَ بأعمال شاقّة للغاية، وعادةً ما يمتطينَ الحمير أو البغال، وقد لاحظتُ أنهنّ غريباتُ الأطوار جدًّا في حركاتهن.

كما أنّ قبائل هذه الطائفة يختلفون بوجهٍ عامّ من حيث المظهر عن الكُرد في كلتا الطّائفتين السّابقتين؛ حيث إنّهم خشنو العظام، وضخامُ الأجسام، وبشرتهنّ داكنة اللّون، وكلُّ مَن يشاهدهم لا يصدّق أنّهم من نفس الأصل.

وغالبًا ما يستغنون عن خيامهم أثناء تجْوالهم، ويستظلّون بالرزم أو بستار من القصب. ومن المعروف أنّ هؤلاء الجبليّين شبه الرّحل سيئو التّسليح وقليلو الحاجات المنزلية، كما أنّهم جبناءُ للغاية، كما ذكرتُ من قبل، أمّا من جهة الدّيانة

فليس لهم معتقدٌ ثابت من أيّ نوع، ولا يهتمّون كثيرًا بهذه الأمور، ولكنّهم يعتبرون مسلمين.

قبيلةُ الميران:

وفيما يخصّ الرّقم ٥٠ من القسم A، وهي قبيلة الميران، فهُم يمثّلون استثناءً من الوصف الذي ذكرتُه من قبل؛ لذا فيجبُ على القارئ أنْ ينظر إلى المعلومات الواردة تحت رقمِهم ليحصل على التفاصيل المتعلّقة بهم.

ويجبُ أنْ أعلمكم أنّ كونَ المرء بدويًّا- أي من الرّحل- يعني اعتباره نبيلًا في الرقّ الجنوب وفي وزنه وفي أطراف الموصل، بالرّغم أنّ كلمة كوجر Kochar أو الرّاعي تعني الشخص (المتوحّش) أو (الجاهل) أو (الفظ).

(١) قبيلة داودية (Daudieh):

تضمّ هذه القبيلة ٤٠٠ أسرة، وهُم شبهُ رحّل، ويتّصفون بولعهم بالحرب، ويقيمون على ضفاف نهر الزاب الأسفل، كما أنّهم سبّاحون مشهورون، ولكنهم فرسانٌ قليلو البراعة، وهُم من الكُرد البابانيون.

(٢) قبيلة دزه يي (Disaie):

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠٠ أسرة، أي أنّها قبيلة كبيرة، قسمٌ منهم من الرّحّل، والقسمُ الآخر من المزارعين، ومعروفٌ عنهم أنّهم يتزاوجون بحريّة من نساء الجبور العرب.

وقد علمتُ أنّ هذه القبيلة قد فقدتْ جزءًا كبيرًا من ثروتها بسبب الجراد والجفاف، أمّا نساؤهم فهنّ جميلات بشكلٍ غير عادي، ويفضّلنَ ارتداء ملابس فريدة متميّزة من العمامات الزّرقاء كالرجالٌ، والثياب السوداء الثقيلة، كما أنّهنّ لا يرتدين أيّ ملابس ملوّنة، أو أيّ نوعٍ من الحلي، أمّا الرّجال فهُم فرسان ومزارعون

جيدون، والمركزُ الرئيسيّ لهذه القبيلة موجودٌ على مزرعة السّلطان في قرة جوق داغ (Kara Chok Dagh) وهم كُرد بابانيون.

(٣) قبيلة شيخ بزيني:

تحتوي هذه القبيلة على ٤٠٠٠ أسرة، وهي قبيلةٌ عظيمة، ولديها نزعةٌ للحرب، كما أنّهم فرسانٌ عظماء وأذكياءُ للغاية، ويقومون بصنع بنادق من طراز (مارتيني- هنري Martini - Henery).

يقيمونَ في القرى في موسم الشّتاء، أمّا في الرّبيع فيقيمون في خيام بجوار قراهم، وبعد الحصاد- أي في شهر حزيران- ينتقلون إلى الحدود الفارسية مع قطْعانهم، ويعودون إلى قراهم في شهر أيلول، وإذا كان الموسمُ حارًّا يعودون بعده، ويقومون بارتداءِ ملابس فارسية النّمط، وهم كُرد بابانيون.

(٤) قبيلة شيخان:

تحتوي هذه القبيلة على ٥٠٠ أسرة، وجميعُهم من الرّحل، ويعملون كرعاة أغنام، كما أنّهم أثرياء، ويقومون برعي أغنامهم بين نهر دجلة والزابين، وقد علمتُ أنّهم لا يقيمون أيّ علاقات مع الأيزيدية. (انظر الرقم ٤٦ من القسم A).

وتخيّم هذه القبيلة في معظم الأحيان مع عرب قبيلة (طي)، ورغم ذلك لا يتزوّجون منهم أبدًا، وهم كُرد بَابانيون.

(٥) قبيلة الشبك:

تحتوي هذه القبيلة على ٥٠٠ أسرة، وهُم مستقرّون، وقد سمعت أقاويلَ مختلفة عن ديانتهم، فيقول البعض إنّهم من الشّيعة، ويؤكّد آخرون أنّ لهم ديانة سريّة، ويقول آخرون إنّهم من البابية، ويقول آخرون بأنّهم يعترفون بنبيّ يسمّى (بابا Baba).

(٦) قبيلة ماموند (Mamound):

لم أحصلْ على أيّ معلومات عن هذه القبيلة، ولكنّي آملُ أنْ تكون مجرّد قبيلة فرعيّة، أي عشيرة من (الهماوند). (انظر الرقم ١١ من القسم A).

(٧) قبيلة كه ردي Giridi:

تضمّ هذه القبيلة ٦٠٠٠ أسرة، وهُم قبيلة قويّة، عبارة عن مزيج من رعاة الأغنام والمزارعين والمحاربين، وفي بعض الأحيان لصوص، يقومون بارتداء ملابس فارسيّة النمط.

ومن المعروف عنهم أنّهم أثرياءُ للغاية، وفرسان جيّدون، كما أنّهم يستخدمون الخوشناو (الرقم ٢١ من القسم A) للقيام بالأعمال الزراعية لديهم، ويقومون بالانتقال إلى منطقة وزنه في فصل الصّيف لرعي قطعانهم، وهناك عشيرةٌ من هذه القبيلة تقيم في (شكفتا – سقا Shkfta – Saka) وتتّخذ موقفًا وديًّا مع الغرباء.

كما توجد عشيرةٌ أخرى تقيم على بُعد ٤ ساعات تقريبًا من عنكاوا، وتشتهرُ هذه العشيرة بكوْنها من قطّاع الطرق، وهم كُرد بابانيون.

(A٧) قبيلة كُردي Girgi:

تضمّ هذه القبيلة ١٢٠٠ أسرة، وقد هاجرتْ هذه القبيلة من أطراف كُردمامك منذُ حوالي ٦٠ عامًا، وتخلو من استخدام الخيام في الصّيف، ولذا لا يمكن تمييزهم عن الجبليّين المحيطين بهم حاليًا، كما أنّهم أثرياءُ ويعملون بجدّ ونشاط، ورغم انْتقالهم إلّا أنّهم مازالوا على اتّصال بالقبيلة الأمّ، ويقومون ببعث الهدايا إلى الزعيم في (شكفتا سقا) كلّ ربيع، وهم كُرد بابانيون.

(٨) خالقاني Khalkani:

تحتوي هذه القبيلة على ٧٠٠ أسرة، وهُم شبهُ رحّل، ولكنّهم ليسوا مولعين بالحرب، وهم كور بابانيون.

(٩) قبيلة سورجي:

تحتوي هذه القبيلة على ٣٠٠٠ أسرة، من بينهم ١٠٠٠ بيتٍ من الرّحّل، وليس لهم أيّ خصائص مميّزة أو فريدة تستحقّ الذّكر، وهم كُرد بابانيون.

وقد علمتُ أنّ هناك عشيرةً صغيرة من (مامكانلي Mamakanli) (انظر القسم D الأرقام G ٨ ، Ag) محلقون بالسورجية، ويبدو أنّهم قد هاجروا جنوبًا في وقتٍ ما، ثمّ اندمجوا سويًّا (انظر القسم A الأرقام ٢٦).

(١٠) قبيلة بيجوان Bejwan:

تحتوي هذه القبيلة على ٨٠٠ أسرة، ويتحدّثون لغةً مختلطة، ويبدو أنّ نصفها لغةٌ عربية، والنّصفُ الآخر لغة كُردية، ويقول جيرانهم بأنّها من أصل تركي، وأنّ هذه القبيلة من أتباع حاجي بكتاش.

(١١) قبيلة هماوند:

تحتوي هذه القبيلة على ١٢٠٠ أسرة، وتعتبر من أشجع وأذكى قبائل بابان الكُردية، وأكثرَها بسالة؛ حيث أنّهم فرسان بارعون، ويطلقون النّار بمهارة؛ بل وحدّادون أكفاء، حتّى أنّهم لصوص جسورون، ومزارعون جيدون.

وبمجرّد دخولهم إلى الخدمةِ الحكومية يظهرون أنّهم موظفون أكفاء، ويذكر أنّه في عام ١٨٧٨ قام ٦٠ من فرسان الهماوند المسلّحين بالرّماح فقط بالتغلغل إلى القفقاس، وعادوا محمّلين بغنائمَ لا حصر لها، ورغم كلّ المحاولات التي أبدتها الحكومةُ التركية في السنوات الأخيرة لقمع قوّة هذه القبيلة؛ إلّا أنّهم لا يزالون مشهورون بشجاعتهم وذكائهم، أمّا نساؤهم فيشتهرنَ بجمالهن، ويتزوّج الهماوند بحرية من العرب، ويعدّون أنفسهم من أصلٍ عربي، ومعظم أفراد هذه القبيلة

يتحدّثون اللغة العربيّة، ولكن لغتُهم الأصلية هي اللّغة الكُردية، ويقومون بارتداء ملابسَ عبارة عن مزيجٍ بين النّمط العربي والفارسي.

وقد كانوا مشهورينَ فيما مضى بحمْل الرّماح، أمّا الآن فلا يحملون سوى البنادق الحديثة والخنجر فقط.

(١٢) قبيلة الجاف:

تضمّ هذه القبيلة ١٠٠٠ أسرة، أي أنّهم قبيلةٌ كبيرة للغاية، وهم شبهُ رحّل، وهي مشهورة- أيضًا- مثل قبيلة الهماوند، ويقال إنّ صلاح الدين الأيوبي من هذه القبيلة، وتقيم هذه القبيلةُ على جانبي الحدود (العثمانية- الفارسية)، ويشتهر زعماء قبيلة الجاف بإخلاصهم التّام لبعضهم البعض، وهذا حالُ جميع زعماء قبائل الكُرد، ولذلك نجدُ أنّ عددهم أكبرُ، واستقلالهم أكثر، ويقال إنّهم لا يحبّون الأوروبّيين، وهم كُرد بابانيون.

(١٣)قبيلة كوران:

لا أعلمُ عددَ أسرهم، ولكن كُرد بابانيون.

(١٤)قبيلة نوردي Nurdi:

لا أعلمُ عددَ أسرهم، ولكن كُرد بابانيون.

(١٥) قبيلة بيران:

تحتوي هذه القبيلة على ٩٠٠ أسرة، وعاداتُهم كثيرة الشّبه بعاداتِ القبيلة رقم ٣ في القسم A، ويقال إنّها عشيرة متفرّعة من قبيلة (ارتوشي Artushi) رقم ٧٦ في القسم A، ولكنّني لست متأكّدًا من هذا الأمر؛ ولهذا ذكرتُهم كقبيلة مفردة.

(١٦) قبيلة آلان Alan:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غيرَ معلوم من الأسر، يظهر اسمُ هذه القبيلة في اسم عشيرةٍ متفرّعة عن قبيلة (ارتوشي) (انظر رقم E ٧٦ من القسم A)، ولكنّني لم أجدْ بينهم أيّ رابطة، ولكنّني وجدتُ قبيلة تسمّى (آليان Alian) في القسم C الرقم M15) وقبيلة آلان من الكُرد البابانيون.

(١٧)باقي خاصّة Baki Kassa:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غيرَ معلوم من الأُسر، وهم كُرد بابانيون.

(١٨) قبيلة كيالونه Kialonat:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غيرَ معلوم من الأُسر، وهم كُرد بابانيون.

(١٩) قبيلة غاوروك Ghawruk:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غيرَ معلوم من الأُسر، وهم كُرد بابانيون.

(٢٠) قبيلة مالكاري Malkary:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غيرَ معلوم من الأُسر، وهم كُرد بابانيون.

(٢١) قبيلة خوشناو:

تحتوي هذه القبيلة على ٢٠٠٠ أسرة، وهم مستقرّون تمامًا، ويعملون لدى قبيلتي (كُردي، شيخ بزيني) (ورقماها ٣، ٧) حيث يقومون بالاعتناء بالمحاصيل لهاتين القبيلتين بين حين وآخر في موسم غيابهما. كما أنّهم يشتهرون بكونهم مقاتلين غير جيدين، وقد أخبرني الآغا الرئيسي لهذه القبائل وصفًا على أصلها.

(٢٢) قبيلة بلياس:

تحتوي هذه القبيلة على ٤٠٠ أسرة، وهي قبيلة حدودية، وهُم أيضًا كُرد بابانيون وشبه رحّل، ويقيمون في وزنه خلال فصل الصيف.

(٢٣) قبيلة آكو Acu:

تحتوي هذه القبيلة على ٥٠٠ أسرة، وهُم شبه رحّل، ويقيم بعضهم في البلدة المسمّاة رانية، ويعرف عنهم أنّهم محاربون وفرسان جيدون، ويمضون فصل الصيف في منطقة وزنه وهم كُرد بابانيون.

(٢٤)قبيلة مامش:

تحتوي هذه القبيلة على ٢٠٠٠ أسرة، وهم رحّل كليًّا، ويمضون فصل الصيف في منطقة وهم كُرد بابانيون.

(٢٥) قبيلة منكور:

تحتوي هذه القبيلة على ٢٠٠٠ أسرة، وتمتاز بكونها مولعة بالحروب وهم شبه رحّل، ويقيمون في فصل الصيف في وزنه.

(٢٦) قبيلة ممكان Memkan:

تضم عددًا غير معلوم من الأُسر، وتعتبر هذه القبيلة حاليًا متفرّعة عن قبيلة السّورجي (رقم ٩ في القسم A) وقد ظهر اسم ممكان أو أشكال محرفة منه في (القسم C الرقم E15) مثل دل ما مكان، وأيضًا في (القسم D الرقم G8) مامكان Mamgan وهي عشيرة متفرّعة عن الرقم 8 جيرانلي، وفي الرقم 9A مامكانلي وهي عشيرة متفرعة عن (الرقم ٩ سبيكانلي).

وقد سمعتُ من الكهنة الأربعين ورجال القبيلة رقم A9 أنّ المامكانلي كانوا من الأرمن الذين أصبحوا مسلمين، وهناك احتمال أنّهم كانوا قبيلة مسيحية، ثمّ تشتتوا تمامًا.

وأنا لا أعلم أيّ شيء عن تراث مامكان.. ومما كان.. ودل مامكان.

(٢٧) قبيلة بالكي Baliki:

تضمّ عددًا غير معلوم من الأُسر، وهي قبيلة حدودية، ولا أعرف عنها أي شيء سوى أنّها يمكن أن تكون مرتبطة بشكل ما مع قبيلة (بيلكان Belikan) الرّقم ٨١ القسم، ومع قبيلة (بيلكانلي Belikanli) (الرقم ١٥ – القسم E) ومهما يكنْ من شيء فإنّه لّما كان (البيليكان رقم ٨١) من «الزازا» فيبدو لي أن ذلك الرابط غير مُحتمل.

(٢٨) قبيلة بيراستني Pirastini:

تحتوي هذه القبيلة على ١١٠٠ أسرة، ويقيمون في القرى وهم كثيرو الشبه بقبيلة الخوشناو (الرقم ٢١ القيم A)، وهم من الكُرد البابانيون.

(٢٩) قبيلة زيمزان (زرزان) Zamzan:

تحتوي هذه القبيلة على عدد غير معلوم من الأُسر.

(٣٠) قبيلة باديلي Badili:

تضمّ عددًا غير معلوم من الأُسر، وهذا اسمُ عشيرة كُردية صغيرة، ويتبعون المذهبَ السّني، وهم مستقرّون في رواندوز، كما أنّهم لا يعترفون بوجود أي صلة بينهم وبين عشيرة (باديلي الرقم ID القسم E).

(٣١) قبيلة شيروان:

تحتوي هذه القبيلة على ١٨٠٠ أسرة، وهم مستقرّون، واسمهم مأخوذ من المكان الذي يقيمون به، ويمتازون بالجدّ وكرم الضيافة، ولكنّهم مولعون بالحرب.

(٣٢) قبيلة هركي:

تضمّ قبيلة هركي ٣٠٠٠ أسرة، وهي عبارة عن قبيلة كبيرة من الرحّل، ولكنهم متفرّقون في أماكن كثيرة، حيث يمكن أنْ تجد بعضهم قرب أرضروم، والبعض بالقرب من وان،

وآخرون بالقرب من الموصل، وهؤلاء الهركية هم أناس ذوو بشرة داكنة جدًّا، ويقول جيرانهم إنّهم ليسو كُردًا؛ بل هم من عرق مختلف تمامًا، ومتوحّش.

أمّا النساء الهركية فهنّ جسورات، وقويّات كالرجال، وقد علمت أنّهم ينامون في فصل الخريف بدون أيّة خيام، وهم بوجهٍ عام قبيلة واطئة، ويمتلكون قطعانًا كبيرًا من الأغنام، ويتعاملون في بيع وشراء خيول الحمل الرّديئة النوعية، ومن المستحيل وصفهم بدقّة، وذلك لأنّهم ليس لهم طرق ثابتة، وهم يخيّمون عامّة بأعداد قليلة، ولكنّهم يتحركون في مجموعات صغيرة متقاربة، وينقسمون إلى:

أوّلًا: مندان Mendan:

وقد ظهر هذا الاسم مرّةً أخرى كعشيرة متفرّعة من الملّي في الشطر الشمالي من ما بين النّهرين (انظر القسم c الرقم G 1).

ثانيًا: زهير هاتي أوزرهاتي (سه رهاتي) Zeha Ti:

هي عشيرة متفرّعة عن قبيلة الهركية، وتتجول في أطراف وان.

ثالثًا: زيدان (سيدان) Zeydan:

هي أيضًا عشيرة متفرّعة عن الهركية، ويظهر هذا الاسم مرة أخرى كعشيرة متفرّعة عن قبيلة (بنيانشلي الكبيرة رقم ٧٣ القسم A) ويظهر مرة أخرى كعشيرة متفرّعة عن قبيلة (موتكان رقم 20 F القسم B).

رابعًا: حاجي:

هي عشيرة متفرعة عن الهركية، وتضمّ ٢٠٠ أسرة، وتعتبر هذه العشيرة هي القسمُ المستقرّ في قبيلة الهركية، حيث تقيم في وسط منطقة مؤشر عليها برقم ٣٢ على الخارطة.

(٣٣) قبيلة بلياس:

تضمّ هذه القبيلة ١٥٠٠ أسرة، وقد أخذتْ اسمها من نهر برادوست.

(A٣٣) قبيلة برادوست:

تحتوي هذه القبيلة على ١٥٠٠ أسرة، وقد أخذت اسمها من نهر برادوست.

(٣٤) قبيلة بارزان Barzan:

تضمّ هذه القبيلة ٧٥٠ أسرة، وقد اكتسبت اسمها القبلي من منطقة بازان، وتشتهر هذه القبيلة بمؤهّلاتها، وبعائلة مبجّلة تسمّى (شيوخ بارزان).

(٣٥) قبيلة نيروفا أو نيروه Nerva:

تحتوي هذه القبيلة على ١٨٠٠ أسرة، وهي قبيلة مستقرّة.

(٣٦) قبيلة ريكان:

تضمّ ١٨٠٠ أسرة، وهي أيضًا قبيلة مستقرّة.

(٣٧) قبيلة زيبار:

تحتوي قبيلة زيبار على ١٠٠٠ أسرة، وهذه منطقة تضمّ ٣٠ قرية تقريبًا، ويقيم بها كليًّا تقريبًا كُرد مستقرّون يطلق عليهم الكُرد الزيباريّون.

وهُم فلّاحون دقيقون وحريصون للغاية، ويزرعون الكروم ببراعة، كما أنهم بنّاءون جيّدون، ويقابلون الغرباء مقابلةً كريمة، ولكنّهم يسيئون المعاملة مع بعضهم البعض، ويقوم زعماؤهم ببناء قلاع صغيرة، ولكنّهم إمّا يحاصرون فيها أو يحاصرون الزّعماء الآخرين، ولهم عدد مزمن مع شيوخ بارزان (أنظر الرقم ٣٤ القيم A).

(٣٨) قبيلة أشاغي Ashaghi:

لا أستطيع منحكم أيّ معلومات عن هذه القبيلة.

(٣٩) قبيلة هسينا أو هه سينا Hasseina:

تضمّ عددًا غير معلوم من الأُسر، وهي قبيلة صغيرة وضعيفة عبارة عن مزيج من الرحّل والقرويّين، وهم موجودين بالقرب من الموصل.

(٤٠) قبيلة مزوري:

تحتوي هذه القبيلة على ١٢٠٠ أسرة، وهي قبيلة مستقرة وفقيرة.

(٤١) قبيلة دوسكي Doski:

تضمّ هذه القبيلة ١٥٠٠ أسرة، وتقيم في دهوك، ولكنها تتصف بسمعة سيئة نتيجة لقيامهم بأعمال السرقة وقطع الطرق، وهم كرمانج، ويبدو واضحًا أنهم فرع من (الرقم ٤١A – القسم A).

(٤١A) قبيلة دوسكي:

تحتوي قبيلة دوسكي على ٢٠٠٠ أسرة، ويعملون كمزارعين مجدون في كيفر Geaver أو (كيفار – كه فر Giaver).

(٤٢)قبيلة جلالي:

تضمّ هذه القبيلة٤٠٠٠ أسرة، وهم عبارة عن مزيج فبعضهم مستقرون وبعضهم رحّل، ولكنهم جميعًا يقيمون بالقرب من العمادية، واسم هذه القبيلة يظهر في القسم B الرقم ١٤، ويبدو أنّ القبيلة الأخيرة تمثل هجرة من العمادية، ولكنه من غير المؤكّد أن تكون قبيلة الجلالي هي نفسه القبيلة الأم (جليكانلي Jellikanli) (الرقم ١٢ القسم E) قد اسمها من (الرقم ٤١A – القسم A)

(٤٣) قبيلة دره أوديري (دري) Dere:

تضمّ هذه القبيلة ٨٠٠ أسرة، وقد اسمها من (الرقم ٤١A – القسم A)

(٤٤) قبيلة كوهان Kohan:

تضمّ هذه القبيلة ٧٠ أسرة، وهم رحّل، وهناك احتمال أن هذه القبيلة قد تكون مجرّد عشيرة متفرعة من قبيلة ما.

(٤٥)قبيلة شيخان:

أفراد هذه القبيلة إمّا أن يكونوا يزيديّين أو عبدة الشيطان، ويوجد بها عدد غير معلوم من الأسر، وجميعهم شبه رحّل، ويقيمون بالقرب من شيخ عادي، والمركز الدّيني لليزيديّين، ومكان إقامة الزعيم الديني للطائفة، وهناك أيضًا زعيم دنيوي اعتاد العيش هناك، ولكنّني علمت أنّ مكان إقامته يعدّ سرًّا، وقد اكتسبت هذه القبيلة اسمها من الشّيخ عادي، وليس هناك ما يظهر بأن لها أي رابط ماعدا رابطة الدين مع يزيدية سنجار. (انظر القسم C الرقم ١٦).

(٤٦) قبيلة ريشكان (ره شكان) Reshkan:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وقد سمعت أنه يوجد بها بعض اليزيديّين.

(٤٧) قبيلة هه ويري Haweri:

تضمّ هذه القبيلة ٣٠٠ أسرة، وهم إمّا يزيدية أو عبدة الشيطان، ويقيمون بالقرب من زاهو، ويساورني بعضُ الشّك حول وجود علاقة بينهم وبين قبيلة هفيركا (الرقم ١٠١٥ – القسم C).

(٤٨) قبيلة سبيرتي Siprti:

تضمّ هذه القبيلة ٧٠ أسرة من الرحّل، وقد حصلت على اسم هذه العشيرة أثناء مروري بخيامهم، ولهذا لم يتسنَّ لي الوقت للبحث أو جمع معلومات عنها.

(٤٩) قبيلة ميران:

تضمّ هذه القبيلة ١٠٠٠ أسرة، وهي قبيلة ليست ذات شأن كبير، وجميع أفرادها من الرّعاة الذين يهاجرون من جزيرة ابن عمر (بوتان) إلى بحيرة وان في فصل الرّبيع، ويعودون في فصل الخريف.

ويشتهر عنهم أنّهم ساذجون للغاية، كما أنّهم فضوليّون، ويحبّون الاطّلاع على كلّ شيء، ولهذا تجدهم ودودين للغاية تجاه المسيحيّين والأوروبّيين، ولكنهم على العكس يعاملون المسلمين معاملة سيئة جيدة.

وفي كلّ عام يتحرّكون صعودًا إلى مسافة حوالي ١٥ ميلًا عن بحيرة وان، ويمرّون بشرناخ في طريقهم، وقد علمت أنّهم على عداءٍ قديم مع قبيلة الكويـان (الرقم ٥٣A – القسم A)

(٥٠) قبيلة هه سينا Hasseina:

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠ أسرة، ولا أستطيع الرّبط بين هذه القبيلة وقبيلة هسينا (القسم A – الرقم ٣٩).

(٥١)قبيلة سندي:

تضمّ هذه القبيلة ١٥٠٠ أسرة، وهي عبارة عن مزيج من المسلمين والنساطرة، ولكنّ أكثرهم مسلمون، وهي قبيلة مستقرّة، وله عشيرتان متفرعتان وهما (سلوب Slpe –، ٦٠٠ أسرة) (كولي Guli – ٣٠ أسرة).

(٥٢) قبيلة كويان:

تضمّ هذه القبيلة ١٤٠٠ أسرة، وهي قبيلة كبيرة وقوية، بعضهم كُرد مستقرّون، وبعضهم شبه رحّل، ويبدو أنّ لديهم أقسامًا عديدة متفرّعة عنهم، ولكنني لم أتمكن من الحصول على أسمائها.

وقد علمتُ أنّ هذا الفرع يتضمّن عددًا محدّدًا من الزازا.. لمعرفة التفاصيل؛ انظر (القسم B)، ويشتهر الكويان بالاستقلال والبسالة، وقد قاموا بذبح مصطفى باشا الزّعيم الكبير لقبيلة ميران في معركة ضارية عام ١٨٩٩م.

(A٥٣) قبيلة شه رنا خلي:

تضمّ هذه القبيلة ٦٠٠ أسرة، وقد أطلق هذا الاسم على قسمٍ مستقرّ من الكويان يقيمون في شه رناح (شه رنه خ).

(٥٣) قبيلة داخوري (ده قوري) Dakhori:

تضمّ هذه القبيلة عدد غير معلوم من الأسر، وهُم عبارة عن عدد قليل من الكُرد المستقلين، ويقيمون في أطراف شه رناخ، وهناك احتمال أن يكونوا قسماً من قبيلة الكويان.

(٥٤) قبيلة شركي Shriki:

تضمّ هذه القبيلة ٢٠٠ أسرة، وهم قبيلة مستقرّة وغنية، وبالنظر إلى اسمها يبدو أنّ لها علاقة مع قبيلة (زركانلي Zirikanli) (في لقسم D الرقم ١٠).

(٥٥)قبيلة باليان:

تضمّ هذه القبيلة ٧٠ أسرة من شبه الرّحل، وهي عشيرة فقيرة ومتفرقة مثل قبيلة الهركي، وهي قبيلة كبيرة وقوية بعضهم كُرد اسمها من (القسم A الرقم ٣٢).

(٥٦) قبيلة آيرو Eiru:

تضمّ هذه القبيلة ١٠٠ أسرة.

(٥٧) قبيلة اتمانكان Atmanikan:

تحتوي هذه القبيلة على ٥٠٠٠ أسرة، وهم رحّل وأثرياء للغاية، وغالبًا من نجدهم في ممرّ بدليس، وبالقرب من بوتان، وهناك يوجد مركزهم الرئيسي،

وهذه القبيلة ترتدي أزياء كأزياء قبيلة الهركية (القسم A الرقم ٣٢) ولكنهم يختلفون عنهم من حيث السّمعة، فليس لهم سمعة سيئة كقبيلة الهركية، ونادرًا ما يمتلكون خيولًا.

كما أنّهم يهاجرون في فصل الصيف صعودًا إلى سهل موش.

(٥٨) قبيلة سلوكان Silukan:

تضمّ هذه القبيلة ٩٠٠ أسرة، وهم فلّاحون ورحّل، ويشبهون كثيرًا قبيلة أتمانكان (القسم A الرقم ٥٨) وهم أيضًا يهاجرون إلى سهل موش في موسم الصيف.

(٥٩) قبيلة كجيان kichian:

تحتوي هذه القبيلة على ١٥٠ أسرة، وهم رحّل.

(٦٠) قبيلة دوديري Duderi:

تضمّ هذه القبيلة ٤٠٠ أسرة، وهم رحّل حيث ينتقلون في فصل الصيف إلى السّاحل الجنوبي من بحيرة وان.

(٦١) قبيلة عليكانلي (آلكان) Alikanli:

تضمّ هذه القبيلة ١٥٠ أسرة، وهم عبارة عن رحّل عديمي الأهمية، وربما تكون عشيرة متفرّعة من إحدى القبائل الأخرى، ولكنني لم أتمكّن من التأكد من هذا الأمر (ربما تكون متفرعة من قبيلة الكوجر).

(٦٢) قبيلة هلاجي أو حلاجي Halaji:

تضمّ هذه القبيلة ٩٠٠ أسرة، وهم عبارة عن مزيج من مستقرّين كُرد وترك، ويقيمون على السواحل الجنوبية لبحيرة وان.

(٦٣) قبيلة تيان:

تضمّ هذه القبيلة ٣٠٠ أسرة، ولكنهم يعرفون بسمعة سيئة، ويقال عنهم إنهم جزء معزول من قبيلة طي العربية الكبيرة، ولكنني لا أعرف أي دليل أو إثبات على صحة هذا الأمر.

(٦٤) قبيلة هواتان **Hawtan**:

تضمّ هذه القبيلة ٣٠٠ أسرة، وهم مستقرّون في منطقة بوتان.

(٦٥) قبيلة كيكا **Keka**:

تضمّ هذه القبيلة عدد غير معلوم من الأسر ويقيمون بالقرب من جولميرك.

(٦٦) قبيلة بليكار **Bellikar**:

تضمّ هذه القبيلة ١٨٠ أسرة، وهي عبارة عن عشيرة من الكُرد شبه الرحّل، ولا يوجد لها أيّ علاقات مع قبيلة بيلكي أو بيلكانلي، ويقول أفراد هذه القبيلة إنّهم كانوا يعبدون الأوثان، ثمّ دخلوا الإسلام على يد خالد بن الوليد.

(٦٧) قبيلة خاني:

تضمّ هذه القبيلة ١٨٠ أسرة، وهم يقيمون بالقرب من خوشاب Khoshanb. اسمها من (الرقم A٤١ – القسم A)

(٦٨) قبيلة تاكولي **Takuli**:

تضمّ هذه القبيلة ٤٥٠ أسرة، وربّما تكون مجرّد عشيرة متفرعة من قبيلة (زيلانلي Zilanli) ويعتقد أفراد هذه العشيرة أي عشيرة تاكولي أنهم قد جاءوا من أرضروم قبل حوالي مائة عام، وهم مستقرّون الآن، ولهم أجساد هزيلة، ويبدو أنهم من العرق الواطئ أو المتدنّي لقبيلة سبيكانلي الموجودين شمال بحيرة وان، والتي قد وردَ ذكرها في المدخل الخاص بالقسم D.

(٦٩) قبيلة ؟:

لقد تعرّضت لحادث بسيط، وبسببه فقدتُ اسمَ هذه القبيلة، ولكنّني تركت مكانها فارغًا لعلّي أجد اسمها مرّة أخرى.

(٧٠) قبيلة شكاك:

تضمّ هذه القبيلة ٦٠٠٠ أسرة، وهي قبيلة نبيلة ومحترمة، ويطلق عليهم الأرمن المحليون اسم (ريفند Revend).

ونظرًا لأنّ هذه القبيلة تقيم لمدّة ثلاثة أشهر في الخيام، فيمكننا وصفها بالمستقرّة، وهناك بعض العشائر المتفرّعة عن هذه القبيلة، ولكنّني أظنّ أنّ الرابط بينهم هو مجرّد اتّحاد سياسي لا علاقة له برابط الدم، وهم:

أ. عشيرة شيكجي Shekiji:

تضمّ هذه العشيرة ١٢٠٠ أسرة، وهم مستقرون بالكامل.

ب. عشيرة موكيري (موقري) Mukeri:

تضمّ هذه العشيرة أيضًا ١٢٠٠ أسرة، وهم مستقرون بالكامل، وقد سمعت أنهم هاجروا من بلاد فارس منذ قبل خمسين عامًا، وينقسمون إلى جزأين، الجزء الأوّل في نوردوس Nurdous، والجزء الآخر موجود في خوشان.

ج. عشيرة شيفلي Shevli:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معلوم من الأُسر، ويقوم أفرادها بزراعة المحاصيل بالقرب من إسكلب Iskilip، وأعتقد أنّها قد تعرّضت لهجرة قسرية في زمن السلطان سليم.

د. عشيرة بوتان:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معلوم من الأُسر.

هـ. عشيرة شيفليShevli :

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معلوم من الأُسر.

و. عشيرة شكاك:

تضمّ عشيرة شكاك ١٠٠٠ أسرة، وهي فرع جنوبي من الشكاك، وهم رحّل بالكامل.

(٧١) قبيلة زيرزان:

تضمّ هذه القبيلة ١٠٠ أسرة.

(٧٢) قبيلة بنيانشلي (بنيانش) Binianishli:

تضمّ هذه القبيلة ١٢٠٠ أسرة، وهي عبارة عن قبيلة كبيرة وزعيمة اتحاد، ولها فروع رئيسية عبارة تسع قبائل متفرقة، ومن المستحيل تحديد مواقعهم بشكل أكثر دقّة، ولكنني علمت أنهم يقيمون في المنطقة الواقعة في أطراف (الرقم ٧٣ – القسم A)، وهذه العشائر هي:

أ. عشيرة زيدان:

يوجد بعض الزيدانيّين في مودكي (الرقم E٢٠ – القسم B)، وكما رأينا فهي عشيرة متفرّعة عن قبيلة الهركية (الرقم ٣٢ القسم A).

ب. عشيرة باركوشان (به ركوشان):

تحتوي هذه العشيرة على عددٍ غير معلوم من الأُسر.

ج. عشيرة كنار بيروش:

عدد الأسر بها غير معلوم

د. عشيرة سوراتاوان:

عدد الأسر بها غير معلوم

هـ. عشيرة بلجان Bilijan:

عدد الأسر بها غير معلوم

و. عشيرة جيلي أو جلي Jelli:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معلوم من الأُسر، وأعتقد أنّها العشيرة الأم (الرقم ١٢ – القسم E)

ز. عشيرة كيوجي (كه فيتري) Gewiji:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معلوم من الأُسر، وأعتقد أنّها العشيرة الأم (الرقم ١٢ – القسم E)

ح. شيولان أو شفيلان Shevilan:

يبدو أنّ هذه العشيرة جزء من (الرقم ٧١ C و ٧١ E القسم A).

ط. عشيرة موسان: لمعرفة الملاحظات؛ انظر (الرقم ١٢ – القسم B)

(A٧٣) قبيلة بنيانشلي الصغيرة:

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠ أسرة، وأعتقد أنها فرع من الرقم، ويقال إنّ هناك شيئًا مخزٍ وشائنًا عن هذه العشيرة، ولكنني لا أعرف، وقد علمت أنّ هناك ١٣ أسرة من أسرِها من الايزديين، وهناك أسر أخرى مسيحية.

(٧٣) قبيلة كيفران (كيفران) Givran:

تضمّ هذه القبيلة عدد غير معروف من الأسر، واسمها هو اسم عشيرة صغيرة موجودة في منطقة كيافر (كه فر) Giaver..

وتقول السّلطات المحلية بأنّ هذه التسمية تشير فقط إلى كونهم من أهالي كيافر، وفي هذه الحالة قد لا يكون لها أي علاقة مع (الرقم ٨ – القسم C)، (والرقم L ٣١ – القسم B).

(٧٤) قبيلة شمسكي Shemsiki:

تضمّ هذه القبيلة ٩٠٠ أسرة، وهي قبيلة مثيرة للاهتمام، وقد كانت من الرحّل فيما مضى، ولكنّها الآن مستقرّة، ويعتبر زعماؤها أنّهم من أصل عربي؛ بل وينظرون إلى باقي أفراد القبيلة على أنّهم من عرق أدنى، وعامّة فإنّ جميع أفراد القبيلة قبحاء الشّكل، أمّا الزعماء فهُم وسيمون ودمثون.

(٧٥) قبيلة هرتوش ارتوشي:

إنّ هذه القبيلة كُردية ومهمّة للغاية، وربّما مع بعض الأبحاث والدراسات قد يظهر أنّها صلة الوصل بين كُرد العراق وكُرد أرمينيا.

والفروع الرحّل من هذه القبيلة لهم سمعةٌ سيّئة للغاية، وبالرغم من كونهم أغنى من الهركية (الرقم ٣٢– القسم A) إلّا أنّهم يشبهونهم كثيرًا من حيث أسلوب معيشتهم ومظهرهم العام، أمّا العشائر المتفرعة عن هذه القبيلة فهي:

أ. عشيرة ايزدينان:

تضمّ هذه العشيرة عدد غير معلوم من الأسر، ويقال إنّهم ايزديون، وليس هناك أي خطأ في الاسم.

ب. عشيرة مرزيكي أو ميرزكي Merzigi:

تضمّ هذه العشيرة ٩٠٠ أسرة، وهم مستقرون ويقيمون بالقرب من باش قلعة Bash Kala.

ج. عشيرة مام ره ش:

تضمّ هذه العشيرة ٢٠٠ أسرة، وهم يتبعون الديانة الأيزيدية، ولكنهم ينتمون إلى قبيلة هرتوش (أرتوشي).

د. عشيرة مامد Mames:

تحتوي عشيرة مامد على ٢٠٠ أسرة، وأعتقد أن هذه العشيرة متفرعة عن قبيلة (هرتوشي) وهي عشيرة مستقرة.

هـ. عشيرة آلان: تضمّ عددًا غير معلوم من الأُسر.

و. عشيرة بيروز Berroz:

تضمّ هذه العشيرة ٦٠ أسرة، ويشتهرون كمزارعي التبغ.

ز. عشيرة جركي (ريركي) Jiriki:

تضمّ عشيرة جركي عددًا غير معلوم من الأُسر.

ح. عشيرة مام كور (مام خوران) Mamkor:

تضمّ هذه العشيرة ٤٠٠ أسرة، وهم رحّل، ومولعون بالحروب للغاية.

ط. عشيرة خاوستان:

تحتوي عشيرة خاوستان على عدد غير معلوم من الأُسر.

ي. عشيرة شرفان Shavafan:

تضمّ هذه العشيرة ٣٠٠٠ أسرة، ويعتبرون أكبرَ فرع من الآرتوشيين الرحّل، وفي موسم الربيع ينحدرون إلى جنوب عقرة.

ك. عشرة مامدان Mamdan:

تحتوي هذه العشيرة على ٢٠٠ أسرة، وأظنّ أنّهم مستقرون، ولكنهم أحيانًا ينحدرون إلى بيخي داغ أو بيخير (Bey Khey Dagh) بالقرب من زاخو. وهناك فرع من الكوجر يسمى (مه همه دان).

ل. عشيرة كه ودان (أو كافادان Gavadan):

تضمّ هذه العشيرة ٣٠٠ أسرة، وهم رحّل، ويشتهرون باللصوصية، كما أنهم متوحّشون وغير مضيافين، كما أنّهم يقومون بتربية الخيول مما يجعلهم أثرياء ويخيمون في الربيع بالقرب من زاخو.

م. عشيرة زدك Zedek:

أفراد هذه العشيرة رحّل، وفرع من الكوجر.

و. عشيرة زفكي (زيوكي) Zefki:

تضمّ هذه العشيرة ١٥٠ أسرة من الرحّل، ويعملون كرعاة أغنام.

ن. عشيرة هفجان (هاجان) Hafjan:

تحتوي عشيرة هفجان على ٥٠٠ أسرة من الرحل (فرع من الكوجر).



القسم B

إنّ القبائل المقيمةَ في هذا القسم معزولةٌ تمامًا عن القبائل الأخرى المذكورة في الفهرست، ولا يشتركون إلّا في القليل، وربّما لا يشتركون في شيء، وهناك حواجز تفصل بين هذه المنطقة وباقي المناطق الأخرى؛ أي A، C، D، E، وهذه الحواجز يمكن تعدادها كالآتي:

أوّلًا: مضيق أو ممرّ بدليس الكبير:

يمكن الوصولُ إلى هذا المضيق من أقصى طرفيه، وهو يشكل خندقًا طبيعيًّا بين المنطقتين A، B.

ثانيًا: نهر دجلة:

لا يمكن خوضُ هذا النهر بسهولة، كما أنّه يعرقل عمليًّا كلّ المواصلات مع المنطقة C.

ثالثًا: سلسلة جبال طوروس الشرقية:

تقومُ النّتوءات الضّخمة لهذه السّلسلة بدور الجدار أو الحماية ضد أو مقابل المنطقة D.

رابعًا: أعالي الفرات:

يقوم النّهرُ بفصل جبال درسيم عن الأجزاء المتداخلة للمنطقة E.

ومن خلال وجهة نظر الملاحظ غير الرّسمي، فإنّني أعتقد أنه ينبغي تقسيم القبائل الكُردية الموجودة في هذه المنطقة إلى خمس طوائف، وهم:

الطّائفة الأولى: وتضمّ الأرقام ١ – ١٥ وكذلك ٢٧ و ٢٩.

الطّائفة الثّانية: وتضمّ الرقم ٢٠ والحروف الملحقة به.

الطّائفة الثّالثة: وتضمّ الأرقام ١٢٠ إلى ١٩.

الطّائفة الرّابعة: وتضمّ الرقم ٢٣.

الطّائفة الخامسة: وتضمّ الرقم ٣١ والحرف الملحقة به.

الطّائفة الأولى: وتضمّ الأرقام ١ – ١٥ وكذلك ٢٧ و ٢٩:

قبائلُ هذه الطائفة عبارة عن خليطٍ من شبه الرحّل والمستقرّين الذين هاجروا في وقتٍ ما من خلال ممرّ بدليس إلى الأراضي المتموّجة الصالحة للزراعة والرعي الواقعة بين ديار بكر وبدليس صو (Bitlis Su).

وهناك احتمالٌ أن يكون هؤلاء النّاس جزءًا من تلك القبائل الكبيرة التي كانت تعيش في حالة تبعية لملوك أرمينيا القدامى.

وقد كانت حجتي على هذه الفكرة هي كلّ من قبيلتي (بكران الرق ٩)، (موسك، الرقم ١) المذكورين في التواريخ القديمة، وعلى كلّ حالٍ فإنّ قبائل السهول الجنوبية لا ترتبط بأيّ علاقة مع القبائل المذكورة في الطوائف الأخرى.

عاداتُ ومواصفات أهالي الطائفة الأولى:

للأسف الشديد لم أستطعْ تقديم تفاصيل كثيرة عن ملبس وعادات هذه الطائفة وذلك لأنّني أثناء مروري في كلّ مرّة خلال موطنهم، لم أتمكّن من القيام بأي دراسات عنهم باستثناء قبيلة (تركان الرقم ٩)، وقد لاحظنا أنّ رجالها طوال القامة، وذوو بِنْية جيدة، كما أنّهم مجدّون بشكل جيد، ولكنهم غير مضيافين أبدًا.

ولقد قمتُ بمعالجة كلّ من الطّوائف الثانية والثالثة والرابعة والخامسة في الفهرست، ولهذا لن تحتاج مزيدًا من التعليق.

قبائلُ الطّائفة الأولى:

١) قبيلة موسك Musik:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وقد تمّ ذكرها من قبل رحالة (أجانب) سابقين، ولكنّني لم أحصل على أيّ تفاصيل عنها، ولم أقم بحذفها لأن المؤرّخ الكلداني (توما المردسيسي Toma of Medis) يذكر اسمها، ولكن كُرد موتكان لا يستخدمون هذا الاسم كلقب قبلي.

٢) قبيلة بنجينان Penjinan:

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠ أسرة، وتشتهر بمؤهلاتها القتالية، ويقال أن هناك بعض الأسر الآيزيدية بينهم.

٣) قبيلة كيسكولي (كه سكوبي) Keskoli:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلومٍ من الأُسر، ولديّ بعض الشكوك حول وجود هذه القبيلة، حيث أظنّ أنّها تسمية محليّة لأحد أقسام قبيلة بنجينان.

٤) قبيلة بوران Pouran:

تحتوي قبيلة بوران على ٢٠٠ أسرة، وهُم شبه رحّل، ويعملون كرعاةٍ ومزارعين.

٥) قبيلة شيخ دوادنلي Shaykh Dodanli:

تضمّ هذه القبيلة ٢٠٠ أسرة، ولا أعلم إنْ كانت من الرحّل أو مستقرّين، ويوجد عددٌ كبير جدًّا من الكُرد غير القبليّين Non - Tribal في هذه المناطق، كما أن هناك صعوبة أخرى وهي أنّ كُرد هذه المنطقة ينفرون من كشف ألقابهم أو عاداتهم.

وقد لاحظتُ بعض التشابه بين اسم هذه القبيلة وقبيلة (دودري Duderi) وقبيلة (دود يكانلي).

٦) قبيلة بكران:

تضمّ قبيلة بكران ٥٠٠ أسرة من الرحّل، ويقيمون خلال فصل الشتاء بالقرب من ديار بكر، أمّا في فصل الصيف فيقيمون بالقرب من سيرت، وتقول الروايات بأنّهم ينحدرون من (البكراتونيين Begratunians) وقد لاحظت أن كهنة الأرمن يتحدّثون ببعض الثّقة عن هذا الأمر؛ أي أنّهم متأكّدون من ذلك، وقد نرى اسم بكران في (القسم C الرقم ١٦ H) بين ايزيدية سنجار.

كما يعتقد ايزيديه سنجار بأنّهم قد جاءوا من بلاد تقع شمال نهر دجلة.

٧) قبيلة رشكوتانلي **Reshkotanli**:

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠ أسرة من الرحّل، وغالبًا ما يتردّد ذكرُ الروشدونيين Rushdunians في تاريخ الرّاهب الأرمني جامج Chamich وهناك تشابه فريد في الاسم.

٨) قبيلة بشيري **Besheri**:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وهي قبيلة مستقرّة بين سيرت ومياه فارقين وديار بكر.

٩) قبيلة تركان **Tirikan**:

تضمّ هذه القبيلة ٦٥٠ أسرة، وهي قبيلة مستقرّة بين الفرات وهاني، ولديهم ولع شديدٌ حول ارتداء الملابس ذات الألوان البرّاقة، كما أنّهم أثرياء وأذكياء،

ويتعاملون بلطفٍ مع القلّة من الأرمن الذين يعيشون بينهم، ويقول هؤلاء الأرمن إنّهم من عرق مشترك، وإنّهم ليسوا من الأرمن الأصليّين، ومن الطبيعي ألّا يشجع كهنة الأرمن وسواد النّاس في ديار بكر هذه الفكرة، ولكنّني حصلت عليها من شهادة كاهن وزعيم مسيحي للمنطقة.

١٠) قبيلة كوزلجان Kuzlichan:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وهي قبيلة صغيرة، موقعها كما هوَ على الخريطة، وقد اكتسب هذا الاسم من اسمِ منطقة في جبال دوسين يقع على بُعد حوالي ٨٠ ميلًا نحو الشمال.

وأعتقد أنّنا ربّما نستنتج هجرة جنوبية من تلك المنطقة.

١١)قبيلة زكري Zekerio:

عدد غير معلوم من الأُسر.

١٢)قبيلة موسي Musi:

عدد غير معلوم من الأُسر.

١٣)قبيلة صارمي Sarmi:

تحتوي قبيلة صارمي على ٤٠٠ أسرة.

١٤)قبيلة جلالي:

تضمّ هذه القبيلة ١٠٠ أسرة.

١٥)قبيلة خزالي Khazali:

تضمّ هذه القبيلة ٥٠ أسرة.

١٦)قبيلة بدري Bedri:

عدد غير معلوم من الأُسر.

١٧)قبيلة مالاشيكو Mala Shigo:

عدد غير معلوم من الأسر.

١٨)قبيلة بوسكان Bosikan:

تضمّ ١٨ أسرة.

١٩)قبيلة كوريكان Kurikan:

تضمّ ١٨ أسرة.

ملاحظة:

إنّ البوسكان والكوريان (الأرقام ١٩ - ١٨) والعشيرة المتفرعة عن بوسكان (الرقم ١٥) تسكنُ المنطقة الواقعة بين موش وكابيلجوس Kabelijous.

وقد اعتادتْ هذه القبائل على عبادة سيف منغرس في الأرض؛ بل ويعبدون القمرَ والنجوم، وقد كانوا يعيشون تحت حكم ملك مسيحي يدعي تافت- Tavit، (أو ربّما داود- المترجم)، وقد كان هذا الملك يقيم في قلعة (بوسو Boso) ثمّ جاء شيخ يسمّى (نصر الدين) من طرف الخليفة في بغداد، وذبح تافت وأدخلَ الإسلام في هذه القبائل.

وقد كان لنصر الدّين أمراء، وهم: زكريا Zekeria، وصارو Saro، وموسى.

وقد قام هؤلاء الأمراء بجلب أتباعهم معهم، وهُم الذين شكّلوا قبائل زكرى، وموسي، وصارمي.

وبعدَ هذا الاستقرار جاءت قبائل أخرى وهي: مالاشيكو، وبدري، وجلالي؛ في أثرِ القبائل الأولى، ودفعت البوسكان والكوربان إلى الانتقال إلى الجبال الشمالية.

وجميعُ هذه القبائل لها أرمن ملحقون بها، وقد سمعت أنّ هؤلاء الأرمن الذين مع البوسكان والكوربان هُم نسلُ أتباع الملك تافت الذي ذكرته سابقًا.

ولا يوجد أيّ تشابه بين هؤلاء الأرمن، وأرمن سهل موش أو القرويين الموجودين قرب وان، ومن الصّعب تمييزهم عن كُرد البوسكان والكوربان، من حيث الملبس والمظهر العام.

أمّا قبيلة مالا شيكو والقبائل المرقمة بـ ١٦، ١٤، ١٣، ١٢، ١١ فيدعون أنفسهم عربًا، كما أنّهم يتحدّثون اللغة الكرمانجية والأرمنية؛ بل ويتحدثون فيما بينهم لغة عربيّة هجينة وفريدة، وبالكاد يمكن فهمها.

إلّا أنّها تختلف عن اللغة العربية، كما تختلف الفرنسية عن الإيطالي، وهي أكثر صعوبة في الفهم من اللّغة العربية التي يتحدّث بها أهالي سيرت، ويوجد شخصٌ يدعى (شيخ نصر الدين) يقيم حاليًا في تلو Tillu وهي قرية كبيرة في أطراف سيرت، ويقال إنّ هذا الشخص من نسل الشّيخ نصر الدين الذي ذكرناه سابقًا، وقد قابلت أحدَ أبناء إخوته، وقد أخبرني بأنّ الأسرة تمتلك وثيقة تمنحهم تلو وأراضي معيّنة أخرى، وقال إنّ هذه الوثيقة موقّعة من قِبَل السلطان سليم الأول فاتح بلاد فارس.

وتعتبر هذه الأسرة نفسَها من فرع عباسي، وعلى الرّغم من أنّ القليل منهم فقط قد غادروا كُردستان نهائيًا، إلّا أنّهم قد جعلوا التحدث بلغة عربية فيما بينهم ميزة لهم.

كما أخبرني ذلك الرّجلُ أيضًا– أي ابن أخ الشيخ نصر الدين الذي يبدو عليه تعلّم القراءة جيدًا– أنّ القبائل المرقمة بـ ١٧، ١٦، ١٤، ١٣، ١٢، ١١ ليست من أصل عربي،

وأنّها قد قبلت الإسلام، وغيّرت أسماءها القبلية بأسماء فاتحيها، ثمّ ثبت لغتهم وحرفتها.

٢٠) قبلية مودكي (موتكان) Modeki:

لقد اكتسبت هذه القبيلة اسمها من اسم منطقة جبلية فريدة، ولا يسهل الوصول إليها، تقع شمال بدليس، وقد أطلقت هذه التسمية عرضًا على كلّ الكُرد الذين يقيمون هناك.

ورغم محاولاتي العديدة في الوصول إلى تلك المنطقة إلّا أنّ جميع محاولاتي قد باءت بالفشل، حيث إنّ أيّ شخص يرغب في استكشاف هذه المنطقة يجب أن يدخلها سيرًا على الأقدام، ويبدو أنّ القبائل المقيمة هناك من الزازا، وهم وحشيون ومنعزلون، ومن الصّعب التحدّث إليهم، وقد قابلت بعض الكُرد الذين قد دخلوا هذه المنطقة من قبل فأخبروني بالتّالي:

أ. كيبوران Keyboran: كُرد زازا.

ب. بوبانلي Bubanli: كُرد زازا.

ج. كوسان Kusan: كُرد زازا.

د. وتجانا Rutchaba: كُرد زازا.

هـ. زيدان: كُرد كرمانج.

و. إيركلي Erikli: كُرد كرمانج (ويسمون أحيانًا خياترا Khiatra).

ز. بير موسى Pirmusi: كُرد كرمانج.

ومن خلال الأوصاف التي أخبرني بها هؤلاء الكُرد تبين لي بأن قبيلة بوتانلي هي القبيلة الأكثر قدمًا في مودكي، أمّا الزيلان المذكورين في (القسم A الأرقام ٣٢، ٧٣) قد انشقّوا إلى تفرّعات عشائرية في أماكن أخرى.

وإذا كانت الرّواية التي تقول بأنّ الكرمانج في موتكان بهم عبيد للزاز، فسيكون هناك بعضُ الأساس للافتراض بأنّ الكرمانج قد دخلوا هذه المنطقة كلاجئين، خاصة إذا كانت هذه الطّبيعة الصّعبة للأرض تمنع أيّ فكرة تقول بأنها قد تعرضت للفتح من قِبَل أيّ جهة باستثناء جيش نظامي.

ويبدو واضحًا أنّ زازا موتكان ليسوا مسلمين أو مسيحيين، وأنا أقترح أن استكشاف هذه المنطقة بالكامل أمرٌ مهمّ، وقد يلقي الضوءَ على تاريخ أرمينيا إن كان من الممكن القيام بجمع جيّد للأغاني والأساطير الشعبية.

٢١)قبيلة بنجاري Pinjari:

تضمّ هذه القبيلة ٤٠٠ أسرة، يقيمون في منطقة ساسون Sasun ويتحدثون اللغة الكرمانجية.

٢٢)قبيلة سليفان Slivan:

تضمّ قبيلة سليفان عددًا غير معلوم من الأُسر، وهناك احتمال أنهم زازا.

٢٣)قبيلة الزازا غير القبليين:

وهم عبارة عن ١٠٠٠ أسرة، والمنطقة التي يظهر عليها هذا الرقم على الخارطة يوجد فيها مقدار كبير من الزازا غير القبليين، وهم في حالة فوضى إلى حد ما، كما أنّهم نادرًا ما يحترفون حياة الإنسان، فبالرغم من كونهم ليسوا قساة أو أشرار إلّا أنّهم يعترفون ببساطة أنّهم مثل حيوانات الحقول، ونادرًا ما يتّخذون أيّ ديانة، وأكبرُ مثال على سذاجة هؤلاء الأشخاص سأذكر لكم حقيقة أنّ أولئك الذين خدموا في الجيش من الزازا الذين التقيت بهم قد أصبحوا مسلمين مخلصين، وعندما يتذكّرون حالتهم السّابقة يخجلون من أنفسهم، ويبدو أنّهم لا يعلمون أي

شيء عن التّنظيم القبلي، كما أنّهم يتحدّثون لغة الزازا، ويعملون كفلاحين، ويبدو عليهم الفقر الشّديد.

وشعبُ الزازا شعبٌ صغير وغير مؤذٍ، ويتمتّعون بأصوات صاخبة كما أنهم خجلون تمامًا أمامَ الغرباء، وفي اعتقادي أنّهم بقايا عرق جبلي بدائي مشابه للبلس Bhils.

أمّا المثال الوحيد الذي صادفته عن الزازا الذين يقيمون في السهول أو في الرّيف كان في بلد (سويرك Suvrik) حيث يعيش القليلُ منهم مع كراكيتش أو (قرة كيج- المترجم).

٢٤)قبيلة كداك Kedak:

تحتوي هذه القبيلة على ٦٠٠ أسرة من الزازا، ويقيمون على خطّ مستقيم جنوب بيرا Pera على فيشن داغ **Veshin Dagh**.

٢٥)قبيلة اشميشارت Ashmishart:

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠ أسرة، وهي طائفة شيعية.

٢٦)قبيلة كولبن Kukbin:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر من الزازا.

٢٧)قبيلة كوروس Gurus:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غيرَ معلوم من الأُسر، لم أحصل على أيّ تفاصيل عن هذه القبيلة سوى الاسْم فقط، وعلى كلّ حالٍ فإنّ إبراهيم باشا يعرف الاسم.

٢٨)قبيلة سنان Sinan:

تضمّ عددًا غير معلوم من الأُسر من الزازا.

٢٩) قبيلة إيليا Elia:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، من الرحّل، ويستحيل التّأكد ما إذا كانوا كُرد زازا أو كُرد كرمانج.

٣٠) قبيلة بهيرماز Behirmaz:

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠ أسرة من الزازا، وهم طائفة شيعية.

٣١)قبيلة درسيملي:

يعدّ هذا الاسم لقبًا عامًّا للكُرد المقيمين في درسيم، وجميع قبائل درسيم هي قبائل وثنيّة تطلق على نفسها اسمَ الشّيعة، ماعدا الشاواك (الرقم ٣١ C – القسم B) وقد تحقّقت من أمر ديانتهم، فاكتشفتُ أنّها عبارة عن مزيج من السحر وعبادة الطّبيعة التي تكشف عن اعتقادٍ بمذهب وحدة الوجود Panthesim.

وقد قابلت أحدَ رجال هذه المنطقة الذي حدّثني قائلًا:

"إنّي لا أعبد الله لأنّ الجزءَ لا يستطيع أن يعبد الكلّ".

وعلى كلّ حالٍ فهم مسلمون شيعة من حيث الشكل الخارجي، كما أنهم يقسمون بالإمام علي، ويدعونه أعظمَ الأنبياء، وأعتقدُ أنّ غرضهم الوحيد هذا هو إثارة غضب السّنة.

وبالرّغم من أنّ هؤلاء الدرسيميين بكلّ وضوح لصوص وسفاحون، إلّا أنهم جبناءُ للغاية، ويمكن ملاحظةُ ذلك بسهولة عند إظهار القليل من السّلطة، فنجدهم قد اختبئوا في منازلهم، ويكون من الصعب تعقبهم.

وفي جميع أطراف درسيم توجد قبائلُ تعيش في حالةٍ من التبعية الإقطاعية لبكوات يتحدّثون التركية، وترتدي نساؤهم الحجاب.

وقد ظننتُ في بادئ الأمر أنّ هؤلاء البكوات الأتراك منحدرون من زعماء مجلس استقرّوا وتبنّوا العادات التركية.

مواصفات الدّرسيميين:

إنّ الدّرسيميين رجال ذوو أجسام صغيرة ونحيلة، ولهم قسمان، وجه حادّة ويتمتّعون بالذّكاء والحسّ الفني المتطوّر بالنسبة للون والملبس.

أحوال الدّرسيميين:

لقد علمتُ أنّ للدّرسيميين لهجة خاصّة بهم، ولكنّها مرتبطة بشكل وثيق مع لغة الزازا، ومعظم قبائل درسيم يهاجرون بانتظام من الجنوب إلى الشمال في أواخر الرّبيع، وتترك قراها خالية تمامًا دون أنْ يتولّى أيّ شخص الإشراف عليها.

الأتراكُ المقيمون على منحدرات درسيم:

يوجد بعضُ الأتراك على منحدرات درسيم، ولكنّهم من (تركمان) الآق قوينلو أتباع أوزون حسن، ويعيشون في نوع من الكومينونات Commune الخاصة بهم، ولمعرفة المزيد عن تاريخ هؤلاء الأشخاص؛ انظر كتاب De Guignes الموسوم تاريخ الهون Histire das Huns.

القبائلُ الدّرسيمية:

أ. قبيلة ملان Milan:

هذه هي القبيلة الأمّ الأصلية لاتحاد الملي الكبير في القسم الشمالي من ما بين النّهرين، والذين مازالوا محافظين على اتّصال معها. وإذا أردت معرفة التفاصيل عن الأسطورة والأهمية الملحقة باسم ملي أو ميلات؛ انظر (القسمC – الرقم ١).

ب. قبيلة كجل Kechel:

تحتوي قبيلة كجل على ١٠٠٠ أسرة، وهم موجودون بالقرب من بالو.

ج. شاواك Shawa:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وهُم مستقرّون، وقد تحوّلوا مؤخرًا إلى المذهب السني.

د. قبيلة فرها أو شاغي:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وتقيم في أطراف سوربكنان Supignan، وهذا الاسم القبلي الكُردي الوحيد الذي يبدأ بحرف (ف).

هـ. قبيلة بختيارلي:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وربما لديهم ٣٠ قرية بالقرب من جمشكزك Chemshgezek، وهُم شبه رحّل، أو في الأقلّ مهاجرون، ولديهم قريتان؛ الأولى على الهضبة والثانية في الوادي.

و. قبيلة قره بانلي Karabanli:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وهم موجودون في أسونك Asunik.

ز. قبيلة ميرزانلي:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، ولكنّي لم أعرف موقعها الدقيق في درسيم.

ح. قبيلة عباسانلي:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، ويعملون في صنع السجاد الرائع الذي يتمتع بالتّعقد الكبير من حيث التصميم وجودة الحياكة.

ط. قبيلة بالاشاغي:

تضمّ هذه القبيلة ٢٠٠ أسرة، وهم مستقرّون.

ي. قبيلة لاتجين أوشاغي Latchin Ushaghi:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وهم موجودون في أموكا Amuga.

ك. قبيلة كوزليجان Kuzlichan:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، ومن المؤكّد أنّ هذا الاسم ليس اسم القبيلة نفسها، وإنّما اسم منطقة موجود في درسيم تضمّ قبائل عديدة.

وعلى كلّ حال فإنّ الاسم على غرار اسم قبيلة موجودة في شمال ديار بكر، وأعتقدُ أنّ هذا الأمر قد نشأ نتيجة هجرة بعض الأسر من الدرسيميين.

ل. قبيلة كفران Givran:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وقد ذكر أنّها موجودة في درسيم، ولكنّني غير متأكد من هذا الأمر.



القسم C

إنّ هذه المنطقة في الواقع هي مقاطعةُ الجزيرة الشمالية القديمة التابعة لإمبراطورية خلفاء بغداد، ويمكن تصنيفُ الكُرد القاطنين فيها على النّحو التّالي بشكل تقريبي:

الطّائفة الأولى:

بدءًا من الرقم ١ والحروف الملحقة به، ويمكن تصنيف هذه الطائفة إلى قسمين فرعيّين:

١) من الرقم I إلى الرقم IDX.

٢) من الرقم IEX إلى الرقم IRX.

الطائفة الأولى:

أصلُها:

تشكّلت هذه الطائفة نتيجةَ هجرةٍ عظيمة من منطقة درسيم في عهد السلطان سليم، ولكنْ سرعان ما فقدت هذه القبائل المهاجرة خصائصها الأصلية؛ وذلك نتيجة للمُصاهرة عبر أجيال مع السّكان العرب والآراميين والكُرد في المنطقة، وكذلك من خلال امتصاص العديد من القبائل المحلية.

أحوالها:

تقوم هذه القبائل بالفلاحة إلّا أنّهم غير جيّدين، ولكنهم رعاة أغنام وحائكو سجاد بارعون للغاية.

وأسلوبُ حياتهم بسيط، حيث يمضون أشهر كانون الثاني وشباط وآزار ونيسان على المنحدرات السفلى من قره جه داغ.

ويمضون شهري نيسان ومايس على سهول ما بين النهرين، أمّا في شهر حزيران، وتموز وآب وأيلول فتجدُهم يتحرّكون صعودًا باتّجاه ديار بكر، وفي تشرين الأوّل وتشرين الثاني، وكانون الأول يتحرّكون مرّة أخرى نحو الجنوب.

ديانتهم ومظهرهم:

تعترف قبائلُ القسم الفرعي (ح) بأنّها من نفس عرق وأصل قبائل القسم الفرعي (١)، ولكنّهم معزولون عنهم بواسطة نهر الفرات، وجميعهم، إمّا شيعة أو وثنيون على النمط الدرسيمي.

ويقوم كهنةٌ من منطقة درسيم بزيارتهم وأداء الخدمات الدينية لهم في مواسم معينة.

أمّا من جهة الملبس، فنجد ملابسهم مشابهةً لملابس سكان الأناضول الذين يتحدّثون اللغة التركية، أمّا نساؤهم فيرتدينَ الحجاب أمام المسلمين والمسيحيين، ولا يشتهر رجالهم بأيّ خصائص فريدة أو مميزة تستحق الذكر.

ثانيًا: الطائفة الثانية:

إذا قلت إنّ أفراد هذه الطّائفة من الكُرد فلن أكون دقيقًا، حيث إنّني أفترض أنهم أجزاءُ متفرّقة من السكّان الآراميّين القدماء المختلطين مع سكان المستعمرات الإمبراطورية في زمن الرّومان، ومع الكُرد والفرس والترك والمغول.

ديانتهم:

بعضُ هذه القبائل من المسلمين، والبعض الآخر من المسيحيّين (على المذهب اليعقوبي)، والبعض الآخر من عبدة الشّيطان، وهناك بعض القبائل التي تضمّ الديانات الثلاثة.

أحوالهم:

جميعُهم أناس مجدّون كفـء، ويجيدون البناءَ بالحجر، كما أنهم يزرعون الكروم ببراعةٍ مذهلة، ولكنّهم أيضًا عنيفون وسفّاحون وميالون للانتقام وحقودون وغادرون،

ويشيع بينهم الحركاتُ الدّينية الغربية، كما أنّ بعضهم قد اعتنق الديانة البروتستانتية الإنجيلية Evengelical Protestantism وقد تسبب ذلك في إحداث تطورات غير متوقّعة.

ثالثًا: الطائفة الثالثة:

أصلهم ومظهرهم:

إنّ جماعة الإيزيديين أو عبدة الشّيطان الكبيرة والاتحاد القبلي في سنجار؛ هم جميعًا من الكُرد، أمّا من الناحية الجسمانية، فهم كثيرو الشّبه بأيزيدية سنجار الكُرد الدرسيميين.

وهُم رجال ذوو أجسادٍ صغيرة ونحيلة لدرجة أنّهم يبدون كالجائعين، ولهم ملامحُ حادّة، وأنوفهم معقوفة وصغيرة، وأذقانُهم مستدقّة الطّرف، وفكّهم السفلي عريض ومسطّح، وعظام خدودهم مرتفعة، ولهُم عيون سوداء ضيقة الانغلاق، وشفاههم ناعمة.

ويقومون بتجديل شعرهم على هيئة ستّ أو سبع ضفائر تتدلّى على جانبي وجوههم.

ملبسهم:

إنّ ملابس هذه الطائفة تختلف عن أيّ ملابس أخرى رأيتها، وأعتقد أنها من طرازٍ قديم جدًّا، ويتكوّن هذا الملبس من:

١. غطاء رأس مستدقّ الطرف من اللباد البني.

٢. قميص أبيض من القطن، ومقطّع على شكل مربّع عند الرقبة، ولا توجد له فتحة في الوجه.

٣. معطف من جلد الغزال أو الجلد البني الخفيف.

٤. صندل من جلد غير مدبوغ، وحزام جلدي.

عقيدتهم:

حسبَ روايتهم الخاصّة التي تقول بأنّهم قد هاجروا إلى سنجار بعد الغزو التّيموري، وعلى أيّة حال، فإنّهم يعترفون بأنّ العقيدة الأيزيدية قد وجدت في جبال سنجار قبل ذلك التاريخ بوقت طويل.

رابعًا: الطائفة الرابعة:

مواصفاتهم:

إنّ أهالي هذه الطائفة- أي كُرد الشّطر الشمالي من ما بين النّهرين- هُم عبارة عنْ دهماء ومنبوذين من كلّ كُردستان، وذلك نتيجة أفعالهم الشّائنة الكريهة، حيث إنّهم محتالون ولصوص ومتشردون، كما أنّهم يظلمون مَن هم أضعف منهم ويؤذونهم، ولا أعتقد أنّهم يتمتّعون بأيّة فضيلة قد تغفر لهم جميعَ هذه الخطايا؛ فهم كسولون وجبناء وقساة، ولا يفتخرون كثيرًا بعرقهم، وهم على ما يبدو يتظاهرون ويختلطون مع الغجر والقبائل الرحّل الوضيعة الأخرى.

ولكنْ هناك بعض الاستثناءات مثل القبائل المرقمة بـ ١٠ ، ١٨ والتي أعتقد أنّها قد هاجرت في وقتٍ ما من سهول شمال بحيرة وان.

ملاحظة:

يوجد إلى الشّرق من منطقة أورفة استيطانٌ كبير للغجر الذين يتظاهرون بأنّهم قبليّون كُرد، وأرجو من الرحّالة أن يكونوا متيقظين تمامًا عند سماع المعلومات التي سيقدّمونها لهم.

ولأحيطكم علمًا فإنّ كلمة (نور Nowar) أو السؤال التالي:

(هل أنت جئتَ من هويك Howek) سيجعلهم يخرسون تمامًا وربما يجعلهم يعترفون بأصلهم الحقيقي.

قبائلُ الطائفة الأولى:

١) قبيلة ملي:

تحتوي هذه القبيلة على ٣٠ أسرة، وهناك غموض غريب يحيط هذا الاسم، ورغم جميع محاولاتي والاستجوابات الدقيقة الكثيرة التي قمت بها مع أناس مختلفين من الكُرد إلّا أنّني لم أنجح في الحصول على تفسير مُرضٍ، فبعض الناس يكتفون بالقول إنّ قبيلة الملي كانت قبيلة قوية، ولكنّها انهارت في القرن الثامن عشر على يدِ الأتراك.

تاريخها وزعيمها:

في الوقت الحالي تبدو لي حقائق هذه القبيلة كالتالي:

أوّلًا: إنّ إبراهيم باشا هو زعيم قبيلة الملي، وبالرغم من أنّ عدد خيامه لا تزيد عن ٣٠ خيمة، إلّا أنّه يتمتّع بالسّلطة التّامة على أكثر من ٢٠٠ خيمة أو أسرة.

ثانيًا: إنّ الحديث الذي يجري عن هذا الرّجل يتمّ باحترام وتبجيل كبير من قبل قزلباش ملاطية، والسّبب في ذلك ليس ثرائه؛ بل لأنّه زعيم قبيلة الملي فقط.

ثالثًا: إنّ إبراهيم باشا هو الرّجلُ الوحيد الذي يستطيع السّفر عبر درسيم بدون أي حراس.

رابعًا: يعتبره أفراد قبيلة شمسكي (القسم A الرقم ٧٥) رئيسًا اسميًّا لهم.

خامسًا: إنّ القرى المعزولة في الأناضول وفي منطقة أرزنجان تتحدث عنه بوصفه زعيمًا أبويًّا لهم.

إنّ هذا الأمر محيّر للغاية طالما أنّ الكُرد الذين ذكرناهم جميعًا من شيعة ووثنيّون وقائلون بوحدة الوجود وزازا ومسلمون سنة يجتمعون على هذا الرأي.

كما أنّ إبراهيم باشا من المسلمين السّنة، ولهذا فإنّ نفوذه ليس سياسيًّا أو دينيًّا، ولكنّه يتمتّع بنفوذ آخر، وأكبرُ دليل على ذلك هو إقبالُ الكُرد من أماكن بعيدة لاستشارته حول النّزاعات العائلية؛ بل ويأخذون رأيه كحكمٍ لا بدّ من تنفيذه على الفور.

وكما يوجد قبائلُ توقّر وتحترم إبراهيم باشا، فيوجد أيضًا بعض القبائل التي لا تأبَهُ بمركزه الأبويّ، وبالرغم من تحالفهم معه في الحرب إلّا أنّهم يكنّون له الضغائن.

آراءُ إبراهيم باشا زعيم قبيلة الملي:

يقول إبراهيم باشا إنّ الكُرد قديمًا كانوا منقسمين إلى فرعين هما: ملان وزيلان، وقد كان يوجد ١٢٠٠ عشيرة من الملان، ولكنّ الله غضب عليهم فتفرّقوا وتشتّتوا في أماكنَ مختلفة، ومنهم مَن بقي ومنهم مَن اختفى، وجميع مَن بقي منهم يحترمونه ويعتبرونه رئيسًا للملي.

ويعتقدُ إبراهيم باشا أنّ كلّ هذا قد حدث قبل زمن النّبي محمد النبيﷺ بوقت طويل؛ أي قبل ظهور الإسلام، لهذا فإنّ بعض الملان مسيحيون والبعض الآخر إيزيدية.

آراءُ قبيلة الملان:

تختلفُ آراءُ أهالي القبيلة قليلًا عن آراء زعيمها، حيث يقولون إنّهم أبناء (شم Shem) وقد جاءوا من شبه الجزيرة العربية، وبأنّ الزيلان من الشرق.

إنّ هذه الأسطورة الغامضة موجودةٌ بشكلها الكامل الآن بين كُرد درسيم ماعدا أنّ لدينا الاختلاف التالي:

آراء كُرد درسيم:

يقول كُرد درسيم إنّ الملان قد جاءوا من شبه الجزيرة العربية، وسكنوا في درسيم، وعندما قام السّلطان سليم الأوّل بفتح غرب كُردستان، ورأى وزيره أنّ الكُرد يتجوّلون صعودًا وهبوطًا على منحدرات درسيم، وبأنّ الأرض كانت مزدحمة بالرحّل؛ فقام الوزيرُ بأمر كلّ مَن يرغب في الزراعة ببناء مساكن، أمّا مَن يرغب في البقاء في الخيام فأمَرَهم بالذّهاب إلى الجنوب، وقد بنى بعضُهم المساكن وتعلّموا اللغة التّركية وحجّبوا نساءهم، وقام آخرون بالفرار إلى معاقل درسيم، وقام الآخرون بالمجيء إلى الجنوب، وقد كان من بين أولئك الذين جاءوا إلى الجنوب أسرة الزّعامة التي يرأسها إبراهيم باشا الآن.

أحدُ روايات الملان:

يروى عن الملان أنّ الزيلان من عرق وضيع قليلِ القيمة، والأمرُ الملفت للنّظر هو أنّه عند الالتقاء بأيّة قبيلة من أصل زيلانيٍ على تحوّلها يمكن إنكاره، وهم في (القسم D الأرقام ٦، ٩، A ٩، ١٧) فإنّك تجدهم أشخاصًا فظّين وبرابرة ذوي ملامح بشعة كريهة بشكل لا تتصوره.

وقد كانت هذه الرّواية مثيرةً جدًّا للاهتمام بالنّسبة لي، أمّا الأمر الأكثر إثارة للاهتمام، والذي يجعلني أستشيطُ من الغضب هي الطريقة التي يقوم فيها الملان بتغْيير الموضوع فجأة، وتجدُهم أصبحوا غامضين في الوقت الذي يسردون فيه أجزاءه المثيرة.

وسيفاجأ كلّ مَن يقرأ هذه السّطور إذا علم عددَ الأشهر التي قضيتها وأنا أجمع هذه المعلومات والجهد الذي بذلته فقط في جمع الفقرة الصغيرة المذكورة أعلاه.

عشيرةُ قبيلة ملان المعترف بهم، وهي مؤشرة بعلامة نجمة:

* A) عشيرة دانان:

تضمّ هذه العشيرة ٢٥٠٢ أسرة من الرحّل.

* B) عشيرة سيدان Sidan:

تضمّ هذه العشيرة ٤٥٠ أسرة من الرحّل، وقد ذكرنا اسماً مشابهًا في (القسم A– الأرقام ٣٢، ٧٣)، (القسم B– الأرقام ٢٠ E)، وبالنسبة لهذه الحالة فأنا أعتقد أنّ هذا الاسم مأخوذ من قائد ما، إمّا سيد أو رجل يدعى سيد.

* C) عشيرة كيران Kiran:

تضمّ هذه العشيرة ٥٥٠ أسرة من الرحّل، ويقترح إبراهيم باشا أنّ هؤلاء هم من نفس القبيلة مثل القبائل الأيزيدية، وبالطّبع هؤلاء الكيران مسلمون سنة.

* D) عشيرة دوديكانلي:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر، ويقيمون مع إبراهيم باشا في الشّطر الشمالي من ما بين النهرين، ويوجد منهم خمس قرى بالقرب من فارتو Varto، ويتحدثون لهجة الزازا، ويقال إنّ هناك بعضهم في درسيم (القسم B).

* E) عشيرة خالاجان Khalajan:

تضمّ هذه العشيرة ٧٠٠ أسرة من الرحّل.

* F) عشيرة كليش (كه له ش) Kelish:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر من الرحّل.

* G) عشيرة مندان Mendan:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر من الرحّل، وهي عبارة عن عشيرةٍ صغيرة فرعيّة من قبيلة الملي، ومن الصّعب التأكّد إذا كانوا قد تحركوا من الهركي (القسم A – الرقم ٣٢) إلى قه ره داغ أو بالعكس.

* H) عشيرة كومنارش (كوم رشا) Kumnaresh:

تضمّ هذه العشيرة ٣٥٠ أسرة من الرحّل.

* I)عشيرة شركيان (كوم رشا) SherKian:

تضمّ هذه العشيرة ٨٠ أسرة من الرحّل.

* J) عشيرة أيل كاوات El Kawat:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر من الرحّل.

* K) عشيرة داش:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر من الرحّل.

* L) عشيرة مشكينلي:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر من الرحّل.

* M) عشيرة كالندلان Kalndelan:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر من الرحّل، وقد ذكروا من قبل في درسيم (القسم B).

* N) عشيرة حاجي بيرام:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر من الرحّل.

* O) عشيرة حسنكان:

تحتوي هذه العشيرة على ٢٦٠ أسرة من الرحّل، وليس لهم أي علاقة مع قبيلة حسنانلي الذين يقرّ بأنّهم من زيلان.

* P) عشيرة خالاجاري أو خلجاري:

تحتوي هذه العشيرة على ٧٠٠ أسرة من الرحّل.

* Q) عشيرة إيليا Ilia:

تحتوي هذه العشيرة على عددٍ غير معروف من الأُسر من الرحّل.

* R) عشيرة اسيادات Isiadat:

تحتوي هذه العشيرة على ٨٥ أسرة من الرحّل.

* S) عشيرة تركان Isiadat:

تحتوي هذه العشيرة على ٧٠٠ أسرة من الرحّل.

* T) عشيرة ناسران (ناصران):

تحتوي هذه العشيرة على ٧٥ أسرة من الرحّل.

* U) عشيرة تجوفان Tehuvan :

تحتوي هذه العشيرة على ٢١٠ أسرة من الرحّل.

* V) عشيرة سرتان أو سارتان Sartan :

تحتوي هذه العشيرة على ٨٠ أسرة من الرحّل. وهم موجودون بالقرب من رأس العين.

* W) عشيرة أوسباخان Usbakhan :

تحتوي هذه العشيرة على ٧٠ أسرة من الرحّل.

* X) عشيرة ماتميه Matmemeih :

تضمّ هذه العشيرة ٨٠٠ أسرة من الرحّل.

* Y) عشيرة جميكان:

تضمّ هذه العشيرة ٢٥٠ أسرة من الرحّل.

* Z) عشيرة باركوهان Barkohan:

تضمّ هذه العشيرة ١٣٠ أسرة من الرحّل.

* AX) عشيرة هسولة Hisulleh:

تضمّ هذه العشيرة ٥٥٠ أسرة من الرحّل.

* BX) عشيرة جياره ش Chiresh:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر من الرحّل.

* CX) عشيرة زيروفكان:

تضمّ هذه العشيرة ٢٠٠ أسرة شبه الرحّل، وهم موجودون في قه ره ج داغ.

* DX) عشيرة داغ باشي:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر شبه الرحّل، وهي قبيلة كبيرة شرق سويرك Suverex.

* EX) عشيرة بوجاك:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر شبه الرحّل.

* FX) عشيرة هوشيان:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر شبه الرحّل.

* GX) عشيرة بسكي Beski:

تضمّ هذه العشيرة ٨٠٠ أسرة، ويبدو أنّهم مستقرّون، ولديهم أسطورة غريبة تقول إنّهم من أصل إنجليزي أو إفرنجي، وقد كان اسمُهم قديمًا سالاركان Salargan، ومع بعض التحفّظ أعتقد أنّ هذا الاسم يوحي بلوزينان، وبأن تفسير تلك الأسطورة هو أنّ بعض أفراد تلك الأسرة (لوزينان) كان لهم يومٌ ما معاملات تجارية مع القبيلة، أو أنّهم لجأوا إلى خيامها.

* HX) عشيرة حاجي مانلي:

تضمّ هذه العشيرة ٥٠٠ أسرة، ولا يمتلكون خيولًا، فينتقلون مسافات طويلة على الحمير.

* IX) عشيرة كاسيان:

تضمّ هذه العشيرة ٥٠٠ أسرة، مستقرّون.

* JX) عشيرة جاكالي أو جكلي:

تضمّ هذه العشيرة ١٠٠٠ أسرة من الرحّل.

* KX) عشيرة مرديس:

تضمّ هذه العشيرة ١٠٠٠ أسرة، مستقرّون حسب ما أعتقد.

* LX) عشيرة أيو تركيج Eutergich:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر من الرحّل.

* MX) عشيرة جانبيك:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر، مستقرّون، ويبدو أنهم جزء من (الرقم ١٨ - القسم F).

* NX) عشيرة بيليان بوركا Beleyan Porga:

تضمّ هذه العشيرة ٥٠٠ أسرة مستقرّين.

* OX) عشيرة دره جان Derejan :

تضمّ هذه العشيرة ٨٠٠ أسرة من الرحّل.

* PX) عشيرة كاو Kao :

تضمّ هذه العشيرة ٥٠٠ أسرة، ولا أعلم إنْ كانوا رحّلًا أم مستقرّين.

* QX) عشيرة مولكان :

تضمّ هذه العشيرة ٥٠٠ أسرة، ولا أعلم إن كانوا رحّلًا أم مستقرّين.

* RX) عشيرة دره جان:

تضمّ هذه العشيرة عددًا غير معروف من الأُسر، وهناك احتمال أن تكون هذه العشيرة فرعًا منفصلًا من (الرقم OX - القسم C) أي عشيرة دره جان السابقة، وربّما تكون الجماعات الصيفية (المهاجرة صيفًا– المترجم) من تلك القبيلة.

٢) قبيلة كاراكيتج أو قره كيج Karagetch:

تضمّ هذه العشيرة ١٧٠٠ أسرة، وقد ذكر الاسم لقبيلة ضعيفة أو دنيا لقبيلة من شبه الرحّل الذين يسكنون قرب سويرك Suverek.

أوصافهم:

أهالي هذه القبيلة قساة ومتوحّشون، وقذرون لدرجةٍ لا يتخيّلها أحد، وتعرف بالسّمعة السّيئة في كلّ مكان، كما أنّه نتيجة لوقوعها على الطريق العام فإن (أفرادها يمارسون السّرقة أو السّلب– المترجم)، وقد أضاف ذلك الأمر سمعةً سيئة على الكُرد من جانب العديد من الرحالة.

أحوالهم:

الغريبُ في هذه القبيلة أنّ معظمِ أفرادها يتحدّثون لهجة الزازا، كما يوجد بين ديار بكر وطور عابدين الكثيرُ من الكُرد غير القبليّين الذين لا يحملون لقبًا، والذين من الواضح أنّهم منبوذون من قبل عشائرهم، ويبدو أنّ أسوأ هؤلاء غير المرغوب فيهم ينسبون أنفسهم إلى قبيلة قره كيج.

٣) الزازا غير القبليين:

لمعرفة المزيد عن أوصاف الزازا غير القبليّين؛ انظر (القسم B – الأرقام ٢٣).

٤) قبيلة جاي كسن Chikessen: عدد غير معروف من الأُسر.

٥) قبيلة بارهان: عدد غير معروف من الأُسر.

٦) قبيلة حاسران أو حسيران Husseran: عدد غير معروف من الأُسر.

٧) قبيلة أبو طاهر:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، ويقال إنّهم من أصل عربي، ولكنّهم يتحدثون اللغة الكرمانجية.

٨) قبيلة كيفران:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهي عبارة عن عشيرة فرعية من (القسم C – الأرقام ١)، وقد تركت خارج ترقيم الحروف دونَ قصد (أي

أنّها يجب أن تُدْرَج ضمن تسلسل عشائر الملي المرتبة حسب الحروف سابقًا، ولكن الاسم سقط سهوًا– المترجم).

٩) قبيلة آيميرزان Eimerzan:

وتضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهي قبيلة بمشكوك في وجودها.

١٠)قبيلة جيج جج Chichichich أو (كيكي Kiki) أو (كيكيه Kikieh):

وتضمّ هذه القبيلة ١٢٠٠ أسرة، وهم شبه رحّل كُرد، ويقيمون حاليًا على منحدرات قره جيه داغ في فصل الشّتاء (في قرى)، أمّا في فصل الربيع وبداية فصل الصّيف، فينحدرون باتجاه نهر جغ – جغ Jagh – Jagh.

أصلهم:

يقول زعماؤهم إنّهم ينحدرون من الأمير الذي أرسله الخلفاء العباسيّون ليحكم ديار ربيعة Diar Rabieh.

وعندما ضعفت الخلافةُ العباسية بقيت هذه الأسرة، ثمّ اتّخذتها قبيلة كُرد كيكه أسرةً حاكمة لهم.

وينظر البدو المحليّون إلى هذه الأسرة على أنّها من سلالة كريمة المنشأ، ومن الواضح أنّ الزعماء ينظرون إلى أفراد قبائلهم بازدراء؛ لدرجة أنّهم يصفونهم بالكلاب الكُردية، وأعتقد أيضًا أنّهم لا يتزوجون من نسائهم.

رئيسهم:

إنّ الأغا الرئيس لقبيلة الكيكيه هو عبد الرحمن، وقد علمت أنّه رجل يجيد القراءة، وقد قام بقدرٍ جيّد من العمل لغرض تحديد مواقع المدن القديمة على ضفاف نهر الخابور.

وقد قام- أيضًا- بقراءة عددٍ محدود من كتب التّاريخ، ويقول بأنّ الكيكيه هم إحدى آخر بقايا السّكان المستقرّين في الجزيرة الفراتية، ويعتقد أنهم قد أبعدوا إلى الشّمال من قبل قبيلة شمر، وأنّهم لا يأتون إلى الجنوب إلّا بغرض إظهار حقوقهم في الاستقرار في حالة إعادة إقامة أخرى للزّراعة في الشطر الشمالي من الجزيرة.

١١)قبيلة داخوري (دقوري):

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهي عبارة عن عشيرة صغيرة تكوّنت نتيجة لهجرة صغيرة من شيرناخ (شه رنه خ).

١٢)قبيلة داخوري (دقوري):

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وأعتقد أنّ هذه العشيرة غير موجودة، ولكنّني ذكرتها لأن الرحالة ذكروها.

١٣)بونسي Bunesi: وبها عددٌ غير معروف من الأُسر، وأظنّ أنّ هذه العشيرة غير موجودة، لكنْ أشرت إليها لأنّ الرحّالة ذكروها.

١٤)قبيلة ميرسنان Mirsinan:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، ولا يمكن الحصول على أي معلومات أو تفاصيل عنها.

١٥)قبيلة سوركشلي Surkishli:

تضمّ هذه القبيلة ٩٠٠ أسرة، وهم مستقرّون، ويقال بأنّ هذه القبيلة تتحدث لهجة الكرد البابانيّين، وإنْ كان هذا الأمر صحيحًا فربّما يمكن ربطها بالسورجية (القسم A- الرقم ٩).

قبائلُ الطّائفة الثانية:

١٦)إنّ القبائل الموجودة ضمنَ هذه الطائفة هُم قبائل المسلمين والأيزيديين والمسيحيين في طور عابدين، وهم:

A. قبيلة مزيزاخ Mizizakh:

تضمّ هذه القبيلة ٣٩٠ أسرة، وهم مسلمون كُرد ونجدهم في طور عابدين.

B. قبيلة ساور Mizizakh:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهم مسلمون كُرد، ونجدهم في قبائل طور عابدين، وأفرادها عبارة عن مزيج من المسلمين والمسيحيين، كما أنّهم يتحدّثون اللغة العربية.

C. قبيلة مه حلمي Mahalemi:

تضمّ هذه القبيلة ٨٠٠ أسرة، وتتمتّع هذه القبيلة بتاريخ مميز، حيث يقول أفرادُها إنّهم كانوا مسيحيّين قبل ٣٥٠ سنة، وخلال مجاعة الحنطة، طلبوا الإذن من البطريرك لأكل اللّحم خلال الصوم الكبير، ولكن البطريرك قابل طلبهم بالرفض فاتّبعوا الدين الإسلامي.

تتحدّث هذه القبيلة لغة عربيةً رديئة، وترتدي نساؤهنّ ملابس حمراء ولا يتحجّبن.

وقد أخبرني إبراهيم باشا بأنّهم الآن عبارة عن عرقٍ مختلط من العرب والكُرد، ويعتقد أنّ بعض الأسر مازالت على الدين المسيحي.

D. قبيلة هارونه Harune :

تضمّ هذه القبيلة ٧٥٠ أسرة، وهم كُرد مستقرّون، ومن بينهم ٩٠ أسرة من المسيحيّين على المذهب اليعقوبي.

E. قبيلة دل مامكان Del Mamkan :

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهي إحدى قبائل طور عابدين، ويتكلّمون لغة عربية عجيبة أو رديئة.

F. قبيلة دومانا:

تضمّ هذه القبيلة ١٨٠ أسرة، وهم من قبائل جبل طور عابدين، وهي عبارة عن مزيجٍ من المسلمين والأيزيديين.

G. قبيلة دوركان: تحتوي تلك القبيلة على ١٢٠ أسرة من قبائل جبل طور عابدين مؤلفة من المسلمين والأيزيديين

H. قبيلة مومان:

تتكوّن هذه القبيلة من ٦٠٠ أسرة، وهم مسلمون ويتحدّثون اللغة الكرمانجية، ومن بينهم ٩٠ أسرة مسيحيّة، وكذلك ثلاثة رؤساء قبليّون.

I. قبيلة هه فيركا:

تتكوّن هذه القبيلة من ١٨٠٠ أسرة، نصفهم مسيحيّون، ونصفهم مسلمون ويتحدّثون اللغة الكرمانجية، وأشكّ في وجود علاقة بينهم وبين قبيلة هه ويري الايزيجية (القسم A – الرقم ٤٨).

J. قبيلة صلاحان: تتكوّن هذه القبيلة من عدد غير معروف من الأُسر.

K. قبيلة كركري Girgri:

تتكوّن هذه القبيلة من ٥٠٠ أسرة، وهم مزارعون يسكنون في الخيام، ويتحدثون اللّغة الكرمانجية، ويقال إنّ أصلهم عربي.

L. قبيلة داسكان:

تتكوّن هذه القبيلة من ٩٠٠ أسرة، وهُم خليط من المسلمين والمسيحيين والأيزيديين، ويتحدّثون اللغة الكرمانجية، ونجدهم طور عابدين.

M. قبيلة آليان Alian:

تتكوّن هذه القبيلة من ١٢٠٠ أسرة، وهُم مسيحيون ومسلمون وأيزيديون، وأعتقد أنّهم يتحدّثون اللغة الكرمانجية.

N. قبيلة مزي داغ Mizi Dagh:

تتكوّن هذه القبيلة من عدد غير معروف من الأُسر، (انظر الرقم A ١٥) أعتقدُ أنّ هذه القبيلة ليست إلّا مجرّد عشيرة صغيرة من الرحل، وقد تكون متفرعة عن (الرقم A ١٥) والتي تعيش في منطقة ليست بعيدة عنها.

قبائلُ الطّائفة الثالثة:

١٧) أيزيدية سنجار:

A. قبيلة بومتيوت:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهي قبيلة عربية تعيش في حالة قنانه Serfdom لدى أيزيدية جبل سنجار.

B. قبيلة ميركان:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهم مستقرّون.

C. ساموكا (سموقي) Samoga:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، يقيمون في الخيام في مكان بالقرب من سنجار، وأعتقدُ أنّ اسم هذه القبيلة مأخوذ من اسم المكان الذي تقيم به.

D. قبيلة خالتان أو بيت الخلته (خالتي) Beit – El-Khulta:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهم مستقرّون.

E. قبيلة هبابا Hababa:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهم مستقرّون.

F. قبيلة كيران Kiran:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، ويقيمون في الخيام، وفي سنجار، ويوجد بعضُ الكيران الآخرون الذين ذكرتهم من قبل في (القسم C الرقم ١).

G. قبيلة بلد Beled:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهم أيزيديون، ومستقرّون، ويقيمون قرب مدينة بلد سنجار Beled Sinjar واهتدوا إلى هذا الاسم.

H. قبيلة به كران Bkiran:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهُم مستقرّون، وأعتقد أنهم ربّما يكونون قسمًا من قبيلة (بكيران Bekian) وهم موجودون قرب ديار بكر.

I. قبيلة مندكان Mindkan:

تضمّ هذه القبيلة ٣٠٠ أسرة، وهم من الأيزيديين الرحّل، ويوجدون بين تلعفر وبلد (سنجار)، ويوجد من بينهم بعضُ المسلمين الذين لا يتصاهرون مع الأيزيديين.

ولا أستطيع التّأكد ما إذا كانوا عربًا، وألحقوا أنفسهم بقبيلة مندكان أو لا، ولكنّهم على علاقاتٍ طيّبة في كلّ قضايا العمل مع رفاقهم الأيزيديين في القبيلة.

وأحبّ أن أذكّركم بأنّ الأب جامع Chamich يشير كثيرًا إلى الماندوكانيين Mandukanians في كتابه (تاريخ أرمينيا).

الطّائفة الرابعة وقبائلها:

١٨) قبيلة آلوش Alush:

تحتوي هذه القبيلة على ٢٠٠ أسرة، وهي عبارة عن عشيرة من المنبوذين واللّاجئين، ويقودهم زعيم كُردي، ويتحدّثون اللغة العربية.

١٩) قبيلة بزازية Berarzieh:

تحتوي هذه القبيلة على ٩٠٠ أسرة، وهم عبارة عن أحد أفرع قبيلة البرزانلي (القسم D – الرقم A ٦) وقد هاجروا في فترة غير معروفة إلى سروج Seruj في الشطر الشمالي من بلاد ما بين النهرين. وهي عبارة عن اتحاد يضمّ القبائل التالية:

- قبيلة كيتكان: وهم ٧٠٠ أسرة.
- قبيلة شيخان: وهم ٦٠٠ أسرة.
- قبيلة أوخيان: وهم ٧٠٠ أسرة.
- قبيلة شدادان: وهم ٧٠٠ أسرة.
- قبيلة علي دينلي Ali Dinli: وهم ٧٠٠ أسرة.
- قبيلة معفان Mafan: وهم ٧٠٠ أسرة.
- قبيلة زرواران: وهم ٥٠٠ أسرة.
- قبيلة بيجان: وهم ٨٠٠ أسرة.
- قبيلة قره كيجان: وهم ٥٠٠ أسرة.

- قبيلة قره دنان: وهم ١٠٠٠ أسرة.
- قبيلة ميري أوميران: وهم ١٠٠٠ أسرة.
- قبيلة ديدان: وهم ٣٠٠ أسرة.

إنّ وجود قبيلة القرة كيجان في هذه القائمة لا يوحي بأنّ باقي القبائل في الاتّحاد يجب أن تكون قد استقرّت في سروج Seruj في أوقات ترجع إلى ما بعد زمن السلطان سليم.

والرّواية المتداولة بينهم هي أنّهم قد جاءوا من بحيرة وان خلال عام المجاعة، وهُم الآن مستعربون إلى حدّ ما، ويرتدي الكثيرُ منهم الزيّ العربي، كما اعتادوا على التحدّث باللغة العربية، وبعضهم مستقرّون تمامًا، وبعضهم رحّل تمامًا، والبعض الآخر شبه رحّل، وبالرّغم من السّمعة السيئة التي تحيط بهم بسبب قطع الطرق وأعمال اللصوصيّة التي يقدِمون عليها؛ إلّا أنّهم مجددون وأذكياء.



القسم D

إنّ القبائل المقيمة في هذه المنطقة معقّدة جدًّا من حيث التنظيم، ومن الصعب جدًّا ترتيبها أو فهرستُها، ومن الواضح- كما أعتقدُ- أنّهم ينقسمون إلى ثلاث طوائف وهُم:

أوّلًا: الطّائفة الأولى:

تضمّ هذه الطائفة الأرقام ٦، 6A، ٨، ٩ إلى ١٣، ١٧، ٢٣، ٢٤ وقبائل هذه الطّائفة من عرق واضح المعالم، ويمكن تمييزهم.

أوصافهم:

هُم رجالٌ طوال القامة، ضخامُ الأجسام، وذوو وجوهٍ قبيحة بشكل كبير، كما أن سلوكهم أخرق بشكل لا يتصوّره أحد، وقد خرج الرحّالة بفكرة عامّة من هؤلاء القبائل، وأعتقدُ أنّ جميع الكُرد يشبهونهم.

أحوالهم:

إنّ قبائل هذه الطائفة على ما يبدو رحّل حقيقيّون بالفطرة، وليس لديهم أي فكرة عن القابلية أو القدرة سواء في الحرب أو في الزراعة.

ويبدو أنّهم ميّالون إلى الغدر، وجشعون، أو (سلايين) ومشاكين.

وربّما يكون بينهم بعضُ المؤهّلات، ولكنّها غير واضحة، طالما يبدو بأنهم كانوا سادةَ المنطقة التي يسكنونها قبل أنْ يكون لحكومة استانبول سلطةٌ هناك بوقت طويل.

أصلهم:

تروي هذه القبائل أنّهم جاءوا من ديار بكر في الأساس، وكانوا في وقتٍ ما إمّا مسيحيّين، أو أرمن عبدة النار.

وفي حالاتٍ عديدة قاموا بضمّ قبائل محليّة إليهم مثل قبيلة جبرانلي الجديرة بالذّكر (الرقم ٨) إلّا أنّ رجال القبائل التي دمجت مثل قبيلة بلكان (الرقم ٨١) يمكن تمييزهم بسهولة من خلال ملامحهم وحدها، وتوجد بينهم عادةٌ غريبة، وهي أن نساءهم يحلقون شعرَ رؤوسهم على شكل قصّة شعر الراهب، وجميعهم من المسلمين السنة.

ثانيًا: الطّائفة الثانية:

تضمّ هذه الطائفة الأرقام ٨ C، ٨ D، ٨ E، ٨ G، ٨١، ١٩، B A، ٨ B

وأحبّ أنْ أنظر إلى هذه القبائل على أنّها قبائل الرّعاة الأصليّين في الإقليم، الذين أقاموا به قبل دخول قبائل الطائفة الأولى إلى المنطقة.

أوصافهم:

عادةً ما يكون أفرادُ هذه القبائل صغارَ الحجم، وذوي ملامح جميلة، كما أنهم مسالمون، ولكنّهم لا يتمتّعون بأيّة خصائص بارزة.

وأكثرُ القبائل إثارةً للاهتمام بينهم هي قبيلة الماما كانلي أو ممكانلي Mamakanli (لمعرفة التفاصيل؛ انظر الفهرس).

ثالثًا: الطّائفة الثالثة:

أعتقدُ أنّ الأرقام ٦ A، ١٦ ، ٧ هي مجموعات من المنفيّين أرسلها من مواقعها المحليّة (أو من مواطنيها) السّلطانُ سليم فاتح أرضروم.

رابعًا: الطّائفة الرابعة:

تضمّ هذه الطائفة باقي القبائل الموجودة في هذه المنطقة، التي لا أستطيع منحكم أيّ معلومات عنها.

١) قبيلة بنجينان (بنجبنار) Pinjian:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر من الرحّل، ويقيمون خلال فصل الصّيف في بعض القرى المجاورة لهم، ويدعون أنفسهم بنجينار (الرقم ٢ القسم B).

٢) قبيلة سيلوكان: تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر.

٣) قبيلة جوكورلي Chukurli: تضم هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر.

٤) قبيلة أزلي Azli: تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر.

٥) قبيلة لولانلي: تضمّ هذه القبيلة ٤٨٠ أسرة، وهم طائفة شيعية.

٦) قبيلة حسنانلي:

تضمّ هذه القبيلة ٣٣٠٠ أسرة، وهي عبارة عن قبيلة كبيرة تمتلك ١١٠ قرية من مناطق خنس، وملاذ كُرد وفارتو.

وبعضُ أفراد هذه القبيلة من شبه الرحّل، ولكنّهم مؤخّرًا بدءوا يتخلّون تدريجيًّا عن الإقامة في الخيام.

٦A) قبيلة بريزانلي (برازانلي) Berizanli:

تضمّ هذه القبيلة ٩٠٠ أسرة، وهي قبيلة متفرّعة عن الحسنانلي، وهم الآن جميعًا مستقرّون.

٧) قبيلة عيسولي أو إيسولي Isoli:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، يوجد بعضهم بالقرب من بحيرة وان، وأعتقدُ أنّهم جزء من قبيلة هسولية (القسم C – الرقم AX١).

٨) قبيلة جبرانلي:

تضمّ هذه القبيلة ٢٠٠ أسرة، وهي عبارة عن اتّحادٍ من ثمان قبائل، وهم:

A. قبيلة موخل: تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر.

B. قبيلة عرب آغا: تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر.

C. قبيلة توريني: تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر.

D. قبيلة عليكي أو آليكي Aliki: لتضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر.

E. قبيلة اسديني Asdini: تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر.

F. قبيلة شيخكان Shiykhan: تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر.

G. قبيلة ماموكان: تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهناك احتمالٌ أنْ يكون لها علاقة مع قبيلة مامكانلي (القسم D – الرقم A٩).

H. قبيلة شادرلي: تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهم شيعة، ويمثّلون انقسامًا عن (القسم E – الرقم C١).

I. قبيلة بلليكان: تضمّ هذه القبيلة ٦٠٠٠ أسرة، وهم كُرد شيعة، ويتحدثون لغة الزازا.

روايات عن قبيلة الجبرانلي:

إنّ الرواية المتداولة بين الجبرانلي هي كالتالي:

"تقول هذه القبيلة بأنّها كانت تعيش في عربستان (وهذه ربما تعني ديار بكر بالنسبة لكُردي شمالي)، وكانت تقيم ثلاثة أشهر في البيوت وتسعةَ أشهر في الخيام، حتّى جاء شخص يدعى أسعد باشا Aassad Pasha (وربّما أسد باشا) وأمرهم بالذّهاب إلى بنكول قرب موش.

أحوالهم:

لقد أصبحت هذه القبيلة مستقرّة بالكامل، ويبدو واضحًا أن هذه القبيلة من الجبرانلي وبعض الجماعات الأخرى التي انفصلت عن عشائرها، وهؤلاء كما أعتقد سكّان الجبال والأصليّون قبل وصول الجبرانلي الذين– أي سكان الجبال الأصليين– يعاملون معاملةً سيئة من قبل الجبارنلي حتّى الآن، ويبدو أنهم يعيشون في حالة من التبعية لهم.

أمّا البليكان فهم أكثرُ استقلالًا نوعًا ما من الجبرانلي، كما أنّهم منعزلون أيضًا.

مواصفاتهم:

تقوم نساءُ قبيلة الجبرانلي بحلق شعر رؤوسهنّ كما يفعل الرجال، أما الرجال فيرتدون الملابس الأكثرَ غرابة، وهي عبارة عن طراز باعة الخضر أو الفواكه المتجوّلين في حي إيست إند (في لندن) East - End، وتتكون هذه الملابس من:

١. أزرار لؤلؤية الشكل.

٢. ياقة مخملية سوداء.

٣. بنطلونات فضفاضة فيها ثنية ساق وحزام.

ويزيد عليهم الموسرون والأثرياء، فيرتدونَ قلادة وربطة عنق، ويرتدون على رأسِهم طربوشًا ضخمًا أبيض من اللباد يبلغ ارتفاعه حوالي قدم واحد، ويكون منتفخ نحو الخارج مثل القلب، ويلفّون حوله عمامة صغيرة جدًّا من الحرير.

وهؤلاء هُم الكُرد الوحيدون الذين رأيتهم يرتدون هذا الأزياء الغربية، وأعتقدُ أنّ هذا الزّي باستثناء الطربوش حديث.

والخاصيّة الفريدة الأخرى لدى الجبرانلي هي أنّهم يحملون شاربين خديين– أي شاربان خديان ضيقان عن الصدغين وعريضان مستديران عند الفكّين السفليين– المترجم– مشذبين، ولهم شعر طويل.

وكلّ هذه التركيبة الغربية تشكّل أمرًا لا يصدّق Fantastic، ويجب أن أضيف بأنّهم يشبهون الحيدرانلي كثيرًا من حيث المظهر، فهم أشبه بفن الغرتسك Grotasque القبيح.

٩) قبيلة سيبكانلي Sipikanli:

تضمّ هذه القبيلة ٣٠٠٠ أسرة، وهي قبيلة قليلة القيمة تسن شمال بحيرة وان، ولها نفس الأساليب الفظة مثل الحيدرانلي.

A. قبيلة ما مكانلي:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وتعتبر الآن قبيلة فرعية من قبيلة سبيكانلي، ويقول البعض بأنّهم الماماكونيون Mamagonians المذكورون في التّواريخ الأرمينية.

١٠)قبيلة زركانلي Zirikanli:

تضمّ هذه القبيلة ٦٠٠٠ أسرة، وهي قبيلة مشابهة للجبرانلي من جميع النواحي (القسم D– الرقم ٨) فيما عدا كونها قبيلة تتكوّن من كتلة واحدة على حد علمي،

أي أنّها بدون أقسام فرعيّة خاصّة، ولا أستطيع التأكّد ما إذا كانوا يعدون أنفسهم أيضًا من عربستان، وهُم رحّل، ولكنهم استقرّوا خلال السنوات العشر الأخيرة.

١١)قبيلة رشوان Rashwan:

تضمّ هذه القبيلة ٧٠ أسرة من الرحّل.

١٢)قبيلة بازكلي Bazikli:

تضمّ هذه القبيلة ٧٠ أسرة من الرحّل.

١٣)قبيلة بوتيكانلي:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، ويوجدون بالقرب من كغي Kighi، وهم كرمانج مستقرون.

١٤)قبيلة كُردي Girdi:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، ويبدو أنّهم مجموعة مهاجرة من (القسم A – الرقم ٧).

١٥)قبيلة بيسيانلي Pisianli:

تضمّ هذه القبيلة ٧٠٠ أسرة، وهم كرمانج مستقرون.

١٦)قبيلة شيخ بزيني:

تضمّ هذه القبيلة ٤٥٠ أسرة، وهم قريتان أو ثلاث قرى من المستقرين قرب أرضروم، وأعتقدُ أنّهم مجموعة مهاجرة من (القسم A – الرقم ٣).

١٧)قبيلة زيلاني: تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر.

١٨)قبيلة بادلي:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، ويوجدون في آلاشكرد Alashgerd وهم شيعة.

٩١)قبيلة شادرلي:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهُم قلّة من شبه الرحّل المقيمين في الاشكُرد، كما أنّهم من الشيعة.

٠٢)قبيلة باشمانلي:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهي نفسها القبيلة المذكورة في (القسم A – الرقم ٥٦)، ويقال إنّ هناك العديد من أفراد هذه القبيلة في بلاد فارس، ولها شبه علاقة مع (القسم A – الرقم ٥٦).

١٢)قبيلة حمدكان أو همدكان Hamdikan: تضمّ عددًا غير معروف من الأُسر.

٢٢)قبيلة مانورانلي: تضمّ عددًا غير معروف من الأُسر.

٣٢) قبيلة حيدرانلي:

تضمّ هذه القبيلة٢٠٠٠٠ أسرة، وتعتبر أكبرَ قبيلة كُردية موجودة يمكن مصادفتُها من موش إلى أورمية.

وجميعُ أفراد القبيلة أناسٌ من عرق وضيع وفظ، وليست لهم ميزة سواء كجنود أو مزارعين أو رعاة.

٤٢)قبيلة أدامانلي:

تضمّ هذه القبيلة ١٨٠٠ أسرة من شبه الرحّل.

٥٢)قبيلة ؟:

لم أتمكّن من اكتشاف اسم هذه القبيلة، ولكنّني علمت أنّهم من عبدة الشيطان.

القسم E

إنّ هذه المنطقة التي تقعُ بين نهري قزل إيرماق والفرات تقدّم للرحّالة الأجانب صورةً مختلفة تمامًا عن أيّة منطقة أخرى في كُردستان، فنجد أنّ الكُرد الموجودين في هذه المنطقة مختلفون كليًّا عن باقي الكُرد، ولا يستطيع أيّ ملاحظ أنْ يتخيّل أو يصدّق أنّهم ينتمون لنفس العرق الذين ينتمي إليه القبائلُ الموجودة في الأقسام الأخرى، كما أنّ اللّهجات متوافقة بشكل وثيق، وبالرّغم من أن كُرديًّا من القسم A سيجدُ صعوبة كبيرة في جعل نفسه مفهومًا هنا.

وقبائلُ هذا القسم تنقسم إلى أربعِ طوائف، وهي:

الطّائفة الأولى:

تضمّ هذه الطائفة كلّ الكُرد الواردين في الرقم ١ والحروف الملحقة به.

الطّائفة الثانية:

تضمّ هذه الطائفة الرقم ٢ والحروف الملحقة به.

الطّائفة الثالثة:

تضمّ هذه الطائفة الرقم ٣ والقبائل التي تقع في أطرافها والتي لم أتمكن من فهرستها.

الطّائفة الرابعة:

تضمّ هذه الطائفة جميع الأرقام المتبقية.

أوّلًا: الطّائفة الأولى:

إنّ كُرد هذه الطّائفة مستقرّون بالكامل، ويقومون ببناء قرى جميلة، كما أنهم مجدّون وأذكياء ومسالمون، ولكنّهم غدّارون للغاية، وفي بعض الأحيان نجدهم

قساة وبلا شفقة، ومن الشّائع بينهم الشّعرُ الأشقر والعيون الزرقاء، كما أنّ رجالها جميعًا قصارُ القامة، ولكنّهم وسيمون ومطيعون للغاية في تصرفاتهم.

وقد التحقتْ بكلّ قبائل هذه الطائفة عوائلُ محدّدة من الرحّل، وجميعهم فقراء جدًّا، وذوو بشرة سمراء، وقبيحون بشكل مثيرٍ للغثيان، كما أنّهم يدّعون أنّهم وساكني القرى من أصل مشترك.

وجميعُ قبائل الطّائفة الأولى مشهورة بكوْنها شيعيّة، ولكنْ لها معتقدات باطنية بشكلٍ مؤكّد.

ثانيًا: الطّائفة الثانية:

قبائلُ هذه الطّائفة منعزلة، ولمعرفة المزيد من المعلومات؛ انظر الفهرست.

ثالثًا: الطّائفة الثالثة:

إنّ هذه الطائفة، أي السنامنلي Sinaminli، والتي أعتقد أن هناك علاقة تربطها بعشائر ملان Milan (الأرقام من HX ١ إلى IPX من القسم C).

ولكنّني أخيرًا توصّلت إلى نتيجة بأنّ هذا الاعتقاد خاطئ، وذلك لأنّ الشرطة وموظّفي الحكومة يعتبرونهم جميعًا أكراد قزلباش، ولكنّني أميل إلى الاعتقاد بأن أفرادَ قبيلة السنامنلي هم في الواقع منفيّون من أذربيجان.

وهُم شيعة بالكامل، وقد تأكّدت أنّهم ليس لديهم أيّ أسرار أو طقوس وثنية، كما أنّهم وسيمون، ويمتازون بشكل جميل، ويعملون كمزارعين جيدين، وهم متعلمون أيضًا، بل وفنّانون جدًّا في تلوين أو زخرفة الأجزاء الدّاخلية من منازلهم.

رابعًا: الطّائفة الرابعة:

قبائلُ هذه الطّائفة بشكل عامّ رحّلٌ من ديار بكر أو من بحيرة وان الذين انْحدروا من جبال طوروس نحو البحر المتوسط.

وهُم الآن مستوطنون كفلّاحين مستقرّين، أو يؤجّرون أنفسهم للعمل كرعاة أغنام، والرّعاةُ منهم يقيمون في الخيام التي يقام حولها جدران من الحجر في فصل الشّتاء، أمّا في فصل الصيف فيقيمون في الخيام، وفي فصل الخريف يقيمون في العرائش.

ويمتاز هؤلاء الأشخاص بأنّهم طيّبون ومضيافون، ولهم سمعة جيدة.

قبائلُ الطائفة الأولى:

١) قبيلة كورشلي Kureshli:

تضمّ هذه القبيلة ٢٠٠٠ أسرة، وجميعهم يتحدثون اللغة الكرمانجية، وهم إما شيعة أو مؤمنون بوحدة الوجود، وهؤلاء الأشخاص مختلفون كليًّا من عرق مختلف تمامًا عن القبائل السالفة الذكر.

أحوالهم ومواصفاتهم:

إنّ هؤلاء الأشخاص وسيمون وهادئون، ولكنّهم يبغضون المسلمين السنة، وهم غالبًا ما يكونون متحفّظين وهادئين أثناء وجود المسلمين السّنة، وأعتقد أنهم ليسوا من الأشخاص السلابيّين أو قطاع الطرق والرحل.

وخلفَ هذه المظاهر الهادئة والأخلاق الطيبة تكمنُ روحٌ وحشية غريبة لم ألاحظها بين أي كُرد آخرين.

كما أنّهم فلاحون رائعون، ويميلون كثيرًا إلى التأمل الفلسفي.

وهذا الأمرُ ملفتٌ جدًّا للانتباه؛ خاصّة وأنّهم أمّيّون على ما يبدو، أما النقطة الأخرى التي يختلفون فيها عن كلّ الكُرد الآخرين؛ هو سلوكهم الهادئ وافتقادهم إلى حسْنِ الدّعابة والمرح على نحو مميز.

A. قبيلة بالا برانلي (الصغيرة):

تضمّ هذه القبيلة ٦٠ أسرة، وهم شيعة من حيث الاسم، ويقيمون على الضفة المقابلة من نهر الفرات، والأمر الملفت للنظر في هؤلاء الأشخاص هو أنهم يتحدثون اللغة الكرمانجية، وأعتقد أنّهم متماثلون مع قبيلة بادلي (الرقم C1، D1، في القسم E) من حيث المظهر أكثر من تشابههم مع الدرسيملي.

B. قبيلة بالا برانلي (الكبيرة):

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠ أسرة، وهم موجودون إلى الجنوب قليلًا من أرزنجان، ويتحدّثون لهجة الزازا وهم شيعة من حيث الاسم، وأعتقد أنهم من المؤمنين بوحدة الوجود.

C. قبيلة شادرلي:

تضمّ هذه القبيلة ٣٠٠٠ أسرة، وهم إمّا شيعة أو من المؤمنين بوحدة الوجود، وهُم مشابهون كثيرًا لقبيلة الكورشيلي، ولكنّهم أدنى منهم، ويعيشون في بيوت تحت الأرض، كما أنّهم مزارعون فقراء للغاية.

D. قبيلة بادلي:

تضمّ هذه القبيلة ٧٠٠ أسرة، وهم كرمانج وشيعة شبه رحّل، ويقال إن هناك القليلَ منهم بالقرب من رواندوز.

قبائل الطائفة الثّانية:

٢) قبيلة كوجكيري Kochkiri:

تضمّ هذه القبيلة ١٠٠٠٠ أسرة، وهذه القبيلة مميزة للغاية، لدرجة أنه يمكننا وصفها بأنّها شعب منفصل تقريبًا.

مواصفاتهم:

رجالٌ ونساء هذه القبيلة من نوع فريد؛ فهم ذوو بشرة داكنة مع ملامح بارزة على نحْو رائع، كما أنّهم لا يشبهون أيّ عرق كُردي آخر، أما لغتهم فتبدو مثل لهجةٍ كُردية، ولكن من الصّعب فهمها من قبل الزازا أو الكُرد البابانيين أو كرمانيجة ديار بكر.

أمّا من جهة ديانتهم فأعتقدُ أنّهم من أتباع صيغة من المؤمنين بوحدة الوجود، وهذه الدّيانة تعتبر الطبيعة عنصرًا أنثويًّا، والإلهَ عنصرًا ذكريًّا، إنّني أقدم هذا الرّأي بتحفّظ شديد لأنّه نتيجة محادثات مترجمة مع موسرين أو أثرياء كبار السن.

أحوالهم:

إنّ أفراد هذه القبيلة عبارة عن فلّاحين بائسين، ويقيمون في شبه مساكن تحت الأرض، وهذه المساكنُ شبيهة إلى حدّ ما بتلك الموجودة في سهل موش وشمال بحيرة وان.

أمّا الأمر الأكثرُ غرابة هو ما يلاحظُه المرء بأنّ الأرمن والمسلمين الذين يعيشون قربَ هذه القبيلة يعيشون في قرى جيدة البناء ذات بيوت من الصخر المنحوت.

أصلهم:

هناكَ بعضُ الرّوايات المتداوَلَة بين أفراد هذه القبيلة، وهذه الرّوايات تقول: إن قبيلة الكوجكيري كانوا يعيشون في درسيم، ولكنّهم نزحوا من هناك على يد الجبليين.

وهؤلاء الأشخاص غيرُ مولعين بالحرب، ولا يحملون أسلحة، وهم مطيعون إلى أقصى الحدود، ويقول المسلمون بأنّهم يغدرون بغيرهم، ولا يقيمون وزنًا لحياة البشر،

وأعتقدُ أنّ العديد من الكوجكيري يسكنون في منطقة ليست معروفة كثيرًا تقع شمال طريق سيواس– زارا Zara، ولم يكنْ لديّ الكثير من الوقت للقيام بمزيد من التحريات والدّراسات عنهم، وتنقسم هذه القبيلة إلى:

A. قبيلة سارولا أو صارلور Sarolar تقيم في أطراف قره جاران.

B. قبيلة بارلولار أو بارلور Barolalor تقيم في أطراف قره جاران.

C. قبيلة كارلولار أو كارلور Garolalor تقيم في أطراف قره جاران.

D. قبيلة أبولار أبولر Ibolar تقيم في أطراف حمود باد Hamobad.

E. قبيلة أسكي كوجكيري (القدماء):

تضمّ هذه القبيلة ٤٠٠ أسرة، وتوجد هذه القبيلة قرب أرزنجان، ويقولون إنّه ليستْ لهم علاقة مع الكوجكيري، وإنّها نزحت إلى خارج منطقة كوجكيري على يد قبائل القسم D الأرقام A، B، C، D، ٢.

ومن هنا يمكننا أنْ نستنتج أنّ قبيلة كوجكيري ليس الاسم الحقيقي لقبائل (القسم E، الأرقام Z، A، B، C، D).

قبائلُ الطّائفة الثالثة:

٣) قبيلة سنامنلي Sinaminli:

تضمّ هذه القبيلة ٢٥٠٠ أسرة، وهي عبارة عن قبيلة كبيرة من الشيعة الحقيقيّين المقيمين في أطراف ملاطية.

وهؤلاء الأشخاصُ من الشّيعة المخلصين، ووفقًا لما وردني من تقارير فإنّ لهجتهم قريبة جدًّا من اللغة الفارسية الحديثة، حتّى أنّها أكثر قربًا له من أية لهجة كُردية أخرى.

وهُم ودودون مع الأوروبيّين والغرباء، وهذه الفكرة أدّت إلى شيوع الفكرة القائلة بأنّ كلّ الشيعة أو القزلباش مثلهم، ولكنْ على العكس من ذلك فأنا لي تجربة مريرة معهم.

قبائلُ الطّائفة الرابعة:

٤) قبيلة كورجيك Kurejik:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وإنّ هذه الأصوات لا تبدو اسمًا على الأرجح.

٥) قبيلة آل خاس أو الخاس (ته لخاس) Al Khass:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، ويوجد جبل يسمى (ته لخاس) يقع جنوب شرق حلب، وأعتقد أنّ هذه القبيلة اتّخذت اسمها منه.

٦) قبيلة كودر زور Kodir Zor: تضم هذه القبيلة ٦٠٠ أسرة.

٧) قبيلة قره حسن:

تضمّ هذه القبيلة ٣٠٠ أسرة، وأعتقد بأنها قد تكون قبيلة تركمانية (راجع فهرست الأسماء الملحق بكتاب دي غينز De Guignes الموسوم (تاريخ الهون).

٨) قبيلة جوغر يشانلي Chugherishanli:

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠ أسرة، وهناك احتمال أن يكونوا مستقرين.

٩) قبيلة ندرلي Nederli: تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر.

١٠)قبيلة دوغانلي: تضم هذه القبيلة ٢٥٠ أسرة من الرحّل.

١١)قبيلة دليانلي Dellianli:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر من الرحّل، وهي عبارة عن قبيلةٍ صغيرة من الرّحل، ويقيمون بالقرب من مرعش.

١٢)قبيلة جليكانلي Jellikanli:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، يقيم بعضهم في وان، والآخرون في سهل مرعش، وهؤلاء رعاة فقراء.

١٣)قبيلة لك كُردي Lek Kurdi:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معروف من الأُسر، وهي عبارة عن قبيلة صغيرة تقيمُ بالقرب من آدنه، وقد سمعت أنّهم يتحدثون اللغة التركية، واسم هذه القبيلة مألوف للكُرد على الحدود الفارسية، وقد سمعت أيضًا أنّ هناك بعض أفراد هذه القبيلة يقيمون في الأراضي الفارسية.

١٤)قبيلة دلي كانليDellikanli :

تضمّ هذه القبيلة ٢٠٠ أسرة، وهي عبارة عن قبيلة صغيرة من الرحّل في سهل مرعش.

أوصافهم وأحوالهم:

رجالُ هذه القبيلة طوالُ القامة، وذوو أجسام جيدة البناء، أما النساء فهن جيّدات المظهر.

ويعيش هؤلاء الأشخاصُ في خيام كُردية عادية على منحدرات طوروس خلال فصل الصيف، أمّا في فصل الشتاء فيرحلون إلى مخيمات ثابتة على مسافة نحو ٣٠٠ ميلًا إلى الغرب من كلس، ويوجد في هذه المخيمات الثابتة جدران حجرية حول الخيام، وهذا ينطبق تمامًا على الأرقام ١٠، ١١، ١٢، H، ١ في القسم C.

١٥)قبيلة بليكانلي BelliKanli :

تضمّ هذه القبيلة ٢٥٠ أسرة، وهُم رحّل بالكامل، ويتحدّثون اللغة الكرمانجية، ويتنقّلون قرب وادي مرعش، ولا يمتلكون خيولًا.

القسم F

تقعُ هذه المنطقةُ خارجَ كُردستان، وهي تمثّل هجرات قسرية عديدة للقبائل من كلّ أنحاء كُردستان التي قام بها السّلطان سليم الفاتح، ولتحديد المناطق المحتملة التي جاءوا منها؛ انظر الفهرست أو الجدول.

إنّ الأمر التّافه التّالي الذي أقدّمه يضفي اهتمامًا على المسألة.. خلال وجودي قربَ أنقرة التقيتُ ببعض الرّجال من القبائل رقم ١٥ ورقم ١٧، وقد لاحظت أنّهم يرتدون زيًّا مشابهًا وعمامةً متماثلة، وقد كانت هذه العمامة ملفوفةً بطريقة مميزة، وقد رأيت بعض الأتراك يرتدون هذه العمامةَ المميزة بالقرب من أرزنجان، وقد لفت هذا الأمرُ انتباهي لأنّني لم أشاهد هذه العمامة في مكان آخر، وعندما سألت هؤلاء الأتراك عن سبب ارتدائهم لهذه العمامة المميزة، فأخبروني أنّهم من سلالة الانكشارية الذين منحهم السّلطان سليم أراضي بعد فتوحاته.

وقد قمتُ بزيارة إلى متحف الإنكشارية، ورجعت إلى بعض مطبوعات عهد السّلطان سليم حتّى أدركت أنّ هذه العمامة التي لم تعدْ مطابقة للزّي السائر كانت لباسَ الرأس الشائع في تلك الفترة.

وتقوم هاتان الجماعتان المهاجرتان بارتداء هذه العمامة لسببٍ واضح، ذلك أنّ المنحدرين من سلالة الإنكشارية كانوا معزولين عن الأتراك الآخرين، وقد تقيدوا بزي آبائهم.

وأعتقدُ أنّ رجال القبائل في الأناضول قد اتّخذوا أو أجبروا على اتخاذ اللباس التّركي زيًّا لهم بعد نفيهم بوقتٍ قصيرٍ جدًّا.

ونظرًا لأنّهم أصبحوا معزولين؛ فلم يلتزموا بارتداء الأزياء المفروضة عليهم فيما بعد.

القبائل:

١) قبيلة أوخجي سمي Ukhehicemi:

تضمّ هذه القبيلة ٣٠٠ أسرة، وهم مستقرّون.

٢) قبيلة أوروكجيلي:

تضمّ هذه القبيلة ٤٠٠ أسرة، وقد يكونون من اليوروك Yuruks.

٣) قبيلة ملي:

تضمّ هذه القبيلة ٢٠ أسرة، وهي عبارة عن مجموعة صغيرة من الرعاة، وقد صادفتهم بالقرب من أوسمانجك، وقد أخبروني أنّهم من قبيلة الملي، ويبدو أنّهم جاءوا إمّا من درسيم أو قره جه داغ.

٤) قبيلة شيخ بزيني:

تضمّ هذه القبيلة ١٢٠ أسرة من الرحّل، وهم يعيشون بالقرب من بوياباد Boiabad في الأناضول، ويقولون بأنّهم قد أبعدوا إلى هناك من القبيلة المذكورة في (القسم A – الرقم ٣) على يد السلطان سليم، وهؤلاء الأشخاص يرتدون الملابس الأناضولية، ويتحدّثون الآن لهجة كرمانجية.

٥) قبيلة شيفلي Sheveli:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وقد تكونوا أثر هجرة قسرية من (القسم A – الرقم E-٧١).

٦) قبيلة بادلي Badeli:

تضمّ هذه القبيلة ٢٠٠ أسرة، ومنهم فرعٌ مستقرّ يقيم قرب يوزغات، وهم مسلمون ويتبعون المذهب السّني الآن، ويقولون بأنّهم قد بدءوا في اتّباع هذا المذهب منذ ٧٠ عامًا، وأعتقدُ أنّ هذه القبيلة قد تكوّنت إثر هجرة قسرية من (القسم E – الرقم D١).

٧) قبيلة حاجي بانلي Baneli Haji:

تضمّ هذه القبيلة ٣٠٠ أسرة من شبه الرحّل، وهي عبارة عن عشيرة فرعية من (الرقم ١، القسم C) وهي تمثّل هجرة قسرية من درسيم أو قره جه داغ.

A. عشيرة خاتون أوغلي Khatun Oghli:

تضمّ هـذه العشيرة ٤٠٠ أسرة من شبه الرحّـل، وهي عشيرة متفرّعة من (الرقم ١، القسم C) من قره جه داغ، ومن المحتمل أنْ يكونوا تركمانًا.

B. عشيرة ماخاني Makhani:

تضمّ هـذه العشيرة ٣٠٠ أسرة من شبه الرحّـل، وهي عشيرة متفرعة من (الرقم ١، القسم C) من قره جه داغ.

C. عشيرة أومرانلي Omaranli:

تضمّ هـذه العشيرة ٨٠٠ أسرة من شبه الرحّـل، وهي عشيرة متفرعة من (الرقم ١، القسـم C) من قره جه داغ.

٨) قبيلة بركاتلي Barakatli:

تضمّ هذه القبيلة ١٠٠٠ أسرة.

٩) قبيلة تابور أو طابور أوغلي Tabur Oghli:

تضمّ هذه القبيلة ٣٠٠ أسرة من شبه الرحّل، وقد يكونوا من التركمان، ولكن هناك مَن أكّد لي أنّهم ليسوا كذلك.

١٠)قبيلة شيخ بزيني Shaykh Bezeini:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وقد علمت أنّ بعضهم موجودون بالقرب من آلاشكرد Alashderd، وهم يمثلون هجرة من (القسم A – الرقم ٣).

١١)قبيلة جودي كانلي Judi Kanli:

تضمّ هذه القبيلة ٢٠٠ أسرة، وأعتقد أنّهم يمثّلون هجرة من جبل جودي الواقع بالقرب من شيرناخ.

١٢)قبيلة خلكاني (خلقانلي) Khalkani:

تضمّ هذه القبيلة ٤٠٠ أسرة، وهذا هو اسم قبيلة متفرقة كانت معتادة على العيش قرب راوندوز.

١٣)قبيلة سيف كاني Sief Kani:

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠ أسرة من شبه الرحّل.

١٤)قبيلة ناسورلي Nasurli:

تضمّ هذه القبيلة ٦٠٠ أسرة.

١٥)قبيلة تريكان أو تريكان Tirikan:

تضمّ هذه القبيلة ٤٠٠ أسرة، وهي عبارة عن جماعة مهاجرة من الكُرد استوطنت شمال خطّ سكة الحديد على مسافة حوالي ٢٤ ميلًا إلى الغرب من أنقرة، وبشأن أصلها انظر الرقم ٩ والقسم B.

١٦) قبيلة تريكان أو تيريكان Tirikan:

تضمّ هذه القبيلة عددًا غير معلوم من الأُسر، وهي عبارة عن عشيرة صغيرة سمعت أنّها تعيش في الخيام بالقرب من أنقرة، وهناك احتمالٌ أنّها تمثّل هجرة قسرية من الرقم ٥٨ القسم A.

١٧) قبيلة زركانلي Zirikanli:

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠ أسرة، وهم موجودون بالقرب من أنقرة، وتمثّل هجرة من الرقم ٥٨ القسم D.

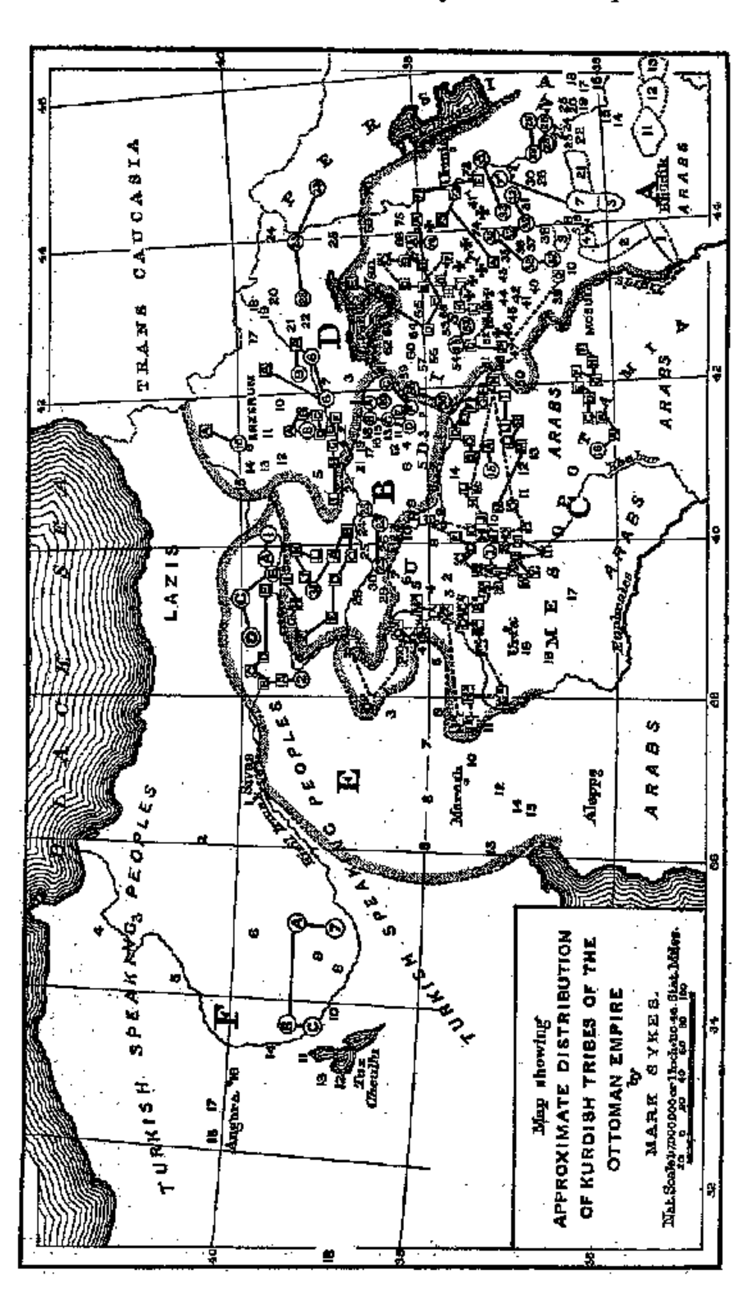
١٨) قبيلة جانبكلي Janbekli:

تضمّ هذه القبيلة ٥٠٠٠ أسرة، وهي عبارة عن مزيج من الرحّل، وشبه الرحّل والمستقرّين، وقد تمّ طردهم من قبل السلطان سليم من الرقم من القسم C (الكُرد الأقسى غربًا).



ملاحق المقالة الأولى

2 MARK SYKES.—*The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire.*





المقالةُ الثّانية

رحلات في شمال بلاد ما بين النهرين

مارك سايكس Mark Sykes



رحلة في شمال بلاد ما بين النّهرين

إنّ المنطقة التي أودّ إيضاحها للقرّاء كانت سابقًا حدودًا متنازع عليها تلفت نظرَ العالم لفترات تاريخية طويلة، وربّما مستقبلًا ستلفت انتباه أوروبا، ويسميها المؤرّخون التّقليديون Mesopotamia بلاد ما بين النّهرين، والتي يسمّيها العرب باستمرار Jazirah "الجزيرة"، أو "شبه الجزيرة"، والاسم العربي بارز ومفيد، لكنّني سوف أتجنّبه وأستخدم الآخر.

إنّ اسم الجزيرة أو شبه الجزيرة يشتقّ من حقيقة أنّ المنطقة موضوع الدراسة محاطة ومنعزلة بواسطة نهرين كبيرين هُما نهري دجلة والفرات.

وتخصّ الأرض الواقعة بينهما، وتعرف بهذا الاسم.

والمظاهرُ الطّبيعية العامّة للجزيرة بسيطة للغاية، ومن الشمال توجد سلسلة متّصلة نوعًا ما من الجبال ممتدّة في خطّ غير منقطع من جزيرة ابن عمر حتى المنحدرات الغربية في Karaja Dagh كاراجاداغ– جبل يعتبر قمّة موحّدة وهائلة لكنّ الخرائط الحديثة قسمته لأجزاء منفصلة عديدة– ووراء المنحدرات الغربية في كاراجاداغ هناك شقّ في هذه المرتفعات، وهو مجرّد هبوط في ارتفاع التضاريس من الجنوب للشّمال، وسرعان ما يستقرّ في التلال والجبال الوعرة التي تمتد من Urfa أورفا إلى BIRAJIK بيره جيك، وسلسلة من التّلال الرّيفية تطلّ على منخفضات الجزيرة تقريبًا بطول السّاحل القاري، وإطلاله على المحيط.

وفي بعض الأماكن كما بين ماردين وجزيرة ابن عمر، فإنّ الفاصل قاطع وبارز، والسّهول الضخمة تمتدّ حتّى قاع المرتفعات، وهي على مساحة ١٠ أو ١٢ ميلًا تشير إلى إمكانية مشابهة خطّ غير منقطع من الشقوق الجبلية والمنحدرات المرتفعة

لسلسلة كاراجاداغ على الجانب الآخر، تندمج تدريجيًا من الأراضي المُنخفضة في شكل جزيرة عظيمة، وتذكّرنا بمناظر سانت فنسنت.

والامتدادُ الغربي للسلسلة كثيرُ التّقطع خلال التعرجات والخلجان والشقوق، ومظهرُه غير منتظم.

والمظهرُ الثّاني المهمّ في الجزيرة هو سلسلة سنجار وجبل عبد العزيز، وهما جبلان يمتدّان لحوالي ١٢٥ ميلًا طولًا، وتوحدهما كسلاسل يجعلهما يمثّلان حائطًا نادرَ التّكوين، ولا يزيد ارتفاعهما عن عشرة أميال، كما لا توجد بهما قممٌ مدببة أو حادّة، ورغم أنّ قمَمَهما تبدو ذات بروزات غير ملحوظة، لكنّ الانطباع العام أمام النّاظر يشبه قطعة أرضٍ شاسعة أو شريحة ذات أبعاد هائلة.

وننتقلُ الآن إلى سلسلةِ الأنهار، إنّ كلّ مِن دجلة والفرات بهما ظاهرة مشتركة، ففي كليهما نجدُ أنّ الرّوافد تصلُ لهما من ضفتهما اليُسرى، وبالتالي، فإنّ الجزيرة لا تساهم بشيء في دجلة وبكلّ شيء في الفرات.

والمياه الدّاخلية في الجزيرة يُمكن تقسيمها إلى قسمين؛ الأوّل: يتدفق من اتّجاه أورفا، وفي النّهاية عند بليخ Belikh يمرّ بالفرات عند الرقة Rakka، والثّاني: هو نهر خابور الأكبر Khabur ، بمختلف روافده، والتي تنشأ عند قاع مرتفعات كاراجاداغ، وبطول تلال Mardin ماردين، ونهر البليخ Belikh

هو مجرى مائي فريدٌ للغاية، وحيث إنّه يطلّ على مدينتين كبيرتين مثل أورفا وحلب، فمِن الغريب أنّه لم يستكشف حتّى الآن. إنّه مجرى مائي عميق وطبيعي، عرضُه حوالي ٣٠ قدمًا، وعمقه حوالي ٨ أقدام، ومجراه معتدل، وذو ضفاف إسفنجيّة ليّنة، وهو ينشأ بجوار حرّان Harran ، حيث يوجد عدد كبير من الينابيع، لكنّ مصدره الرئيسي للمياه هو عين العروس Ain el Arus وهو ينبوعٌ وبركة

تقعُ بين التلال المنخفضة المنحدرة، وعين العروس هي منطقة مقدّسة شهيرة، وهي الموقع الأسطوري لزواج وزفاف النّبي إبراهيم. وفي وسط البركة هناك ينبوعٌ غزير المياه، يمتلئ بكميّة وافرة من سمك الشبوط وسلاحف المياه العذبة، وهذه الكائناتُ إلى جانب طيور الماء التي تملأ المكان تعتبر مقدّسة وأليفة إلى حدّ ما.

وينصح الشّخصُ الذي يرغب في طقوس نادرة أنْ يصلي في مسجد عين العروس، ويقدّم هديةً للشيخ صالح Shaykh Saleh المسئول عن هذا المكان المقدّس. ويطعم السّمك في البركة، فالسمك أليف، وقد اكتسب ثقةً من تكرار وفود الحجيج، حتّى أنّه يأكل الحبوب لديهم.

وبين عين العروس والرّقة يلتقي نهر البليخ المياه من رافدين هما Karamuk الكارموك على الضّفة اليمنى أسفل Tel el Hamam تل الحمام بقليل. والسولويوك Suluyuk على اليسار أبعد شمالًا بقليل، وفي تل الحمام اكتشفت آثار قلعة وصهريج هائل، وهذه الآثار أعتقدُ أنّها آثار قلعة مسلمة Kelat Masamah التي ذكرها Mr.Guy L،Estrange مستر كاي لسترنج في كتابه "بلدان الخلافة الشرقية".

والسّيد ليسترنج يشير أيضًا إلى بلدة Bajerwan باجيروان على الضفة الأخرى لنهر البليخ بين الحمام وRagga راجا على نفس البقعة التي وجدت بها آثار مدينة واسعة.

وضفافُ نهر البليخ شديدةُ الخصوبة، ويمكن أنْ يزرع عليها الشعير والذرة والأرز والأفيون بنجاح، وفي Ras el Ain رأس العين يكون النّهر صافيًا، وعرضُه حوالي ٤٠ قدمًا، وعمقه ٣ أقدام، ولكنْ في Shedadeh شدادة أصبح أكبرَ من ذلك، وبين رأس العين وشدّادة يستقلّ نهر خابور مياه Jag Jag الجاج جاج و Girgan الجرجان، وكلاهما مجاري دائمة يمكن الزّراعة عليها، ومن الآثار العديدة المتراكمة هناك أعتقدُ وجود فائدة لها.

ونأخذُ الآن مساحة السّهول الكبيرة بين الجبال والأنهار من الغرب للشرق والجزء الأوّل، هو ذلك الواقع بين الفرات والبليخ، وهو منطقة صخرية ذات تلال جرداء قاحلة وعرة ومنفردة وجافّة، وهناك فصلٌ واحد تكون فيه مصدرًا للجذب هو أوائلُ الرّبيع، وها هو اقتباس من مذكّراتي يعطي بعض الفكرة:

"في الصّباح التّالي انطلقنا إلى الصّحراء أو النجد القابل للزراعة، والذي به مراعي خضر، أو لمدّة عام، وأراضي الجزيرة تختلف عن أيّ منحدرات تمتد بالبلاد رأيتُها سابقًا، ولا تحمل أيّ تشابه مع سهول التكسان أو المكسيكان أو سهول جنوب أفريقيا، والمناخ- وهو باستمرار صافٍ وغائم معًا في وقت واحد- يعطي صورة عجيبة، وهناك على بُعد ٨٠٠ ياردة.. صخرة تبدو قريبةً لليد، بينما الجبل على الآفاق لا يقلّ بُعده عن ستّة أميال يبدو على مسافة ثلاثة أضعاف.

وهذان الانطباعان المتّحدان معًا يعطيان شعورًا بالفراغ الشّاسع الذي يصعب وصفُه، والسّماء التي تكون في الربيع ذات سحبٍ تلقي بظلالها الغريبة المخططة القلقة على التّضاريس، وهناك خطٌّ كئيب غير محدود، حاضر على الأفق، يتغير فجأةً معه لونُ التّلال الصفراء السّاطعة الواضحة، والتي تصبح قاتمة سريعًا، وهناك سلسلةٌ وعرة من الجبال الأرجوانية، وهناك وديان تكون أسراب ممتدّة من الأخضر الزّيتوني والأزهار اللامعة، وتمتدّ السّهول المتوازية في خطوط رمادية، وهذا يميز المراعي الجيدة عن المسارات الصّخرية، وبالنسبة لأسراب الجمال تتحرّك بشكل لا يكادُ يلحظ من المراعي وإليها، بينما على جوانب التّلال قطعان كثيفة من الغنم المختلط لونُها بين الأسود والبني والأصفر، والبلابل وهي في الهواء تغني بمرح. ومن حينٍ لآخر تأتي عاصفةٌ رعدية تندفع خلال الأراضي، وتصنع ستارًا من اللون الأسود القاتم، ومنها تأتي القطراتُ السّاقطة الهائلة التي تصيب الأرض الترابية، والتّلال والسهول البعيدة تختفي وينطلق الأفق، وتتحوّل الأرض

للأصفر والأحمر، والبرك الأصفر يبعث بريقًا غير أرضيّ على العشب، ولمدّة عشر دقائق نكون في عالم غريب من المياه المتدفّقة والرياح الصّاخبة والرعد الهائج، وتمر العاصفة، وتبدأ الرِّمال والأغنام في الحركة ثانية، فتظهر أصواتُ البلابل، وتعود الصحراء، كما كانت باستثناء بعض البريق في السّماء".

وبمجرّد الوصول لحافّة نهر البليخ يحدث تغيّر كبير في المناظر.. في جميع الفصول الحشيش أخضر وتكثرُ المستنقعات، وبين البليخ وخوبر توجد صحارى شاسعة أخرى من التّلال المتحضرة، والتي تجاه تصبح صخرية الشّرق أو حجرية، والتّلال الصغيرة العجيبة المخروطية وهي عديمةُ التّعرجات كما لو كانت على سطح الأرض يزداد تكرارها وكثرتها، وتتحوّل إلى متاهات متداخلة من خلال تلاقي الحدود الغربية.

وبعدَ عبور نهر خابور ندخل تضاريسَ مختلفة وأوصاف مختلفة لمنخفضات البلاد، فمِن أرضٍ كثيفةِ العشب ننتقل إلى بلاد خالية على مدّ البصر، والمظاهر الطّبيعية متميّزة وواضحة، وحينما كنّا ننظر سابقًا بحثًا عن أي أثر لتلّ أو بروز أرضي؛ فإنّنا نحملق بدقّة تجاه قلعة ماردين على بُعد خمسين ميل، أو نحو القمم الجليدية في كاراجاداغ، والتي تتعلق في الهواء على ضعف تلك المسافة تقريبًا أو إذا اتّجهنا جنوبًا، فإنّ الكتلة الوعرة من مرتفعات Singar سنجار تبرز أمامنا، كما أنّه ليس سهلًا مسطّحًا وفارغًا يُحاط بهذه الحواجز المتباعدة، لكن من الوديان الفارغة– الأنهار الجافّة– ونعبر مجاري دائمة عميقة وضيفة تشق طريقَها خلال وديان عميقة، أو بطول سلاسل التّلال القائمة اللامتناهية، وبينما في مكان الحشيش الأخضر زرعنا الكثير، لكنّنا نسير راكبين فوق كتلٍ متجمعة من الزّهور تبهر العينَ بلمعانها وتنوّع ألوانها وعطرها الفياح.

إنّ جوانب التّلال تتناثر فيها ألوان الأصفر والأزرق والأرجواني، بينما على شواطئ الأنّهار فإنّ خيولنا لا تكاد تستطيع السّيرَ خلال الضّفاف الجليدية من زهور الرّبيع والزهور العطرية، ولكنّ هذا النطاق كثيرُ المياه والنباتات يكاد يخلو من السكان.

وبينما نسير تجاهَ الشّرق تتضح جبال Kurdistan كُردستان الرائعة والغامضة، ويجد المسافرُ نفسَه وسط أفق رائع والسّهول إلى الجنوب من سنجار هي تغيّر آخر رائع، وهنا نجد سهلًا مسطّحًا ممتدًّا بدرجة رهيبة، ولا يكاد ينتهي.

والآن.. السّؤال الذي يتبادر للذّهن هو: ماذا كان ماضي هذه المنطقة الغربية السّاكنة؟ لقد كانت هذه المنطقة سابقًا ممتلئة بالحياة والثّروات والحروب. لقد كانت هذه الأرض تمتلئ سابقًا بالسكّان والأجناس عالية الثقافة، وتوجد آثار للقنوات العظيمة، وبعضها يحتوي المياه وعلامات لوجود أساطيل، وربّما في المستقبل القريب يكشف البحث الأثري عن معلومات تخصّ طبيعة هذه الحضارة.

ونحنُ نعلم أنّه حينما استولى الإسكندر على الإمبراطوريّة الفارسية احتوت هذه الجزيرة على الكثيرِ من المدن العامرة بحيث ازدهرتْ جماعاتٌ زراعية على ضفاف الأنّهار المذكورة، والمثير أنّهم لم ينزعجوا وسط كلّ تغيّرات الحكومات والصدامات والحروب التي دارت.

وتتلاشى إمبراطورية الإسكندر في يدِ السيطرة الفارسية، تسقط إمبراطوريات المقدونيّين في إمبراطورية الجمهورية العظمى، وتتحوّل هيمنة البارثيين إلى هيمنة الفرس الساسانيين والإمبراطورية الرومانية لأغسطس تخضع لحكم القسطنطينية، وأخيرًا فالقوتان دائمتا الصّدام منذ القدم بيزنطة وفارس تندمجان فجأة في حكم واحد بقيادة الخلفاء (المسلمين).

ولكنْ خلال كلّ هذه القرون والتداولات يبدو أنّ الجزيرة لا تزال كما هي، ولننظر لها في عهد الحكم الثّلاثي للقيصرCaesa، و Pompey بومباي و Crassus كراسوس، وفي عهد حكم الغربيّين، كان هناك بطول نهر البليخ مدن كبرى وقلاعٌ مستمرّة، وبطول نهر الخابور كذلك وبلدة جميلة في Resaina ريسانيا، وهي الآن Ras al Ain رأس العين، وفي شمال Nisibin نصيبين و Dara دارا مدن عامرة وغنية وHarran حرّان وهي مقدّسة مشهورة غنية بالقرابين الغالية من المتبرعين أو العابدين.

وإلى الجنوب من El Hadhr الحضر معبدٌ آخر شهير، فهكذا كان بطول الأنهار، وإنّني أرى هذه السّهول الوسطى الكبيرة كانت حينئذ كما هي الآن يسكنها البدو، إنّنا نعرف أنّ الحضر استمدّت قوّتها من تأييد القبائل الصحراوية التّابعة لها، ألا يمكن تخيّل أنّ هذه السهول الشمالية التي لا يزال فيها شرع إبراهيم قويًّا قد احتلّتها الرّعاة– وليس المتجوّلين الهمجيّين– ولكن ملاك المراعي الأثرياء، وهذا تفسيرُ وجود الجيش الضّخم من الفرسان البارثيين، الذين دمروا جيش كراسوس وخلال الشتاء استطاع الرّومان احتلال تلك القلاع، كما أراد بمجرّد نموّ المراعي تجميع جيش فرسان ضخم، وهذا معناه أنّ الرعاة كانوا يهجرون السّهول الوسطى في الشتاء، ويعودون في الربيع كما يفعلون حاليًا، إنّني مقتنع بشدّة أنّه حينئذ– كما هو الآن– كانت السهول الهائلة بين الأنهار يحتلّها شعوب رعويّة، وأنّ ضفاف الأنهار كانت للاستقرار فقط، ووجود الآثار والرّوابي التي بها ينابيع مياه وآبار يشير لأنّ هذه إمّا كانت مواقع عسكرية أو مستوطنات تجارية أو مستودعات للصّوف، وهكذا... والتي أصلحها الرعاة لبيع منتجاتهم، وبيع السلع.

ولنلقِ نظرَةً منذ ثلاثة قرون مضت، إنّ بارثيا تسقط وتموت، وتسقط بلاد الفرس تحت حكم Shapur شابور، والجزيرة التي كانت ساحة للحرب بين الشّرق والغرب تبدو– حينما مرّ julian جوليان خلالها– أنّها كما كانت سابقًا.

إنّها الآن بالكامل واقعةٌ تحت الحكم الرّوماني، وجوليان وجيشه استطاعوا السّير من حران جنوبًا حتّى الرقّة دون حاجة لسرب إمداد، وحينما عاد الجيش المنهزم بقيادة javian جافيان من الجنوب على شاطئ دجلة، فقد وجدوا الغذاء والقوتَ بعد المرور على سنجار في أرض هي الآن فارغة تمامًا.

وتمرّ أربعة قرون أخرى، وتلتقط الإمبراطورية الفارسية أنفاسها الأخيرة، وإمبراطورية القسطنطينية- التي تناقصت نصفُ أملاكها- لا تزال باقية، والسّلطة الجديدة للمسلمين، وخلفاء الشرق هما في ذروة مجدهما في بغداد.

إنّ السيد جاي ليسترنج Lestrange في مؤلفه الرائع "بلدان الخلافة الشّرقية"، يعطي تعليقًا موجزًا لكنّه مؤثّر.. إنّ الأسماء قد تغيّرت في حالات كثيرة، والكثير من المدن بأكملها قد حدث لها إزاحةٌ عن موقعها، لكنّ الازدهار والثروة والزراعة والجماهير النّشطة تبقى ثمّ يأتي الهبوط السّريع، وتفكّك السيطرة العربية وبداية انحلال رخاء الجزيرة وضياعه قبل القوة العثمانية بكثير.

وحتّى الآن، ورغم أنّ الجزيرة قد مثّلت ساحة للمعركة باستمرار، فإنّها كانت ساحةَ الحرب بين إمبراطوريتين كبيرتين وغنيّتين، بين الإسكندر والفرس، وبين السّلوقيّين Seleucids وبين منافسيهم الشّرقيين، وبين روما وبارثيا (اليونان وفارس)، وبين بيزنطة والخلافة، وبالتّالي.. فبرغم تحوّل الحدود وانتقالها؛ فالأراضي قدِ استفادت من وجود حكومةٍ آسيوية وأوروبّية، والتي لديها فكرة استخلاص دخل من الأراضي المذكورة، ولا تريد ضياعها، ولكنْ من القرن الثّاني عشر تغيرت مجريات الأمور بالكامل.

وفي عام ١١٧٤، كان لدينا خليفةٌ صوريّ في بغداد، وملوك مستقلّون في الموصل وحلب و Jezire-ibn Omar جزيرة ابن عمر وسنجار و Erbil أربيل، وبينما أنّ

Edessa إيديسا أو أورفا التي أخلاها الفرنجة مؤخّرًا، يبدو أنّها حصلت على حكم مستقلّ؛ فإنّ هناك مجموعة من الدويلات المتفككة يحكمها سلسلةٌ من المهاجمين العرب والأتراك الذين تحاربوا معًا، أو دخلوا في حروب مُهْلكة مع الصليبيّين، وليس غريبًا أنّ المدن الثّرية بدأت في التدهور وتناقصت القوافلُ، وقلّ عددُ القرى، وأصبحت البلادُ خاضعة لضربة ساحقة، وتسلمها هولاكو، وتحطّمت الخلافةُ في بغداد، وتمّ تحطيم سوريا على يد المغول، ممّا جعل القوى في تدهور سريع، ولم توجد حكومة ملكيّة للمقاومة أو الإنقاذ، كما أن شمال وشرق كُردستان والعراق وسوريا، وقعتْ جميعُها في حالة من الفوضى والصّراع، وأهملت القنوات القديمة، وبدأ الأهالي في الهجرة والهروب، ولا بدّ أن التّدهور كان بطيئًا لكنّه كان مستمرًّا أيضًا؛ لأنّه لم يوجد إطلاقًا أيّ تجمع للقوى الملكية المستقرّة الضرورية للغاية من أجل رخاء وتنمية البلاد الشرقية.

إنّ الممالك والإمارات الصّغيرة تمثّل- عبر التّاريخ- كومةً من الأحمال المحمّلة على عربات غير متوازنةِ الأحمال، وبدون قيادة جيدة تسير على طريق متعرّج.

وأخيرًا، نرى الصّورة البشعة لتيمور يكتسح قادمًا من الشّرق، وهذه البقايا المتناثرة للثروة والزّراعة قضت عليها هجماتُ التّدمير والجيوش والمجاعات والمذابح التي أعقبت تيمور.

وبعدها بقرنيْن حينما استوعبت القوّة الأناضولية للإمبراطورية العثمانية الجزيرة داخلَ حكومة بيزنطة كانت مجرّد إقليم رعويّ ضمّته إليها، وكان هذا الالتحاق اسميًّا فقط لأنّ الحكومة التركية لم يكنْ لديها الوقت أو الوسائل لإدارة الأقاليم التي انتزعتها من الفرس، وكانت الانتصارات والهزائمُ على الحدود الغربية عائقًا كبيرًا أمام التنمية الدّاخلية، كما هي الآن.

ومسألةُ كيفية إيجاد جيش من أجل غزو فيينا أثّرت على الأقاليم الآسيوية بنفس شدّة الطّرق الطائشة والمتهوّرة لدى مفوضي مقدونيا اليوم.

وكلّ ما تبقّى في الجزيرة كان بعض البلدان الصّغيرة في الرقة وحران و Deir دير و Ana آنا، و Tell Afar تلعفر وسنجار، ومعظمها تدمرت بسبب غزو عرب شمر Shammar حينئذ، الذين أقاموا الحكم البدوي في العراق، واستعبدوا البدو الباقين.

والآنَ نناقش الوضعَ الحالي للجزيرة، إنّها لا تزال أرضًا حدودية بين الشمال والجنوب، بين عنصرين من السّكان أوّلهما: العرب، والثّاني: الأكراد، وفي جبال درسيم Dersim سوف تجدُ الأكراد الأصليّين الموحدين، وفي الصحراء تجد البدوَ من أعلى الأنساب وأنقى الأجناس، ولكن بين هذين المَوْضعين سوف تجد أنواعًا كثيرة من الشّعوب المختلفة، ومجموعة قبائل وضعها العرقي محيّر للغاية وخصوصًا مع المسيحيّين اليعقوبيين في Tur Abdin طور عابدين وعبدة الشّيطان في سنجار؛ لأنّه نظرًا لنظام الحكومة في التّجمعات الدينية والطوائف والملل لدينا موقف شديد التّعقيد والاختلاط.

إنّ القسمين الكبيرين هُما في الحقيقة العرب، والأكراد، والعرب يسيطرون في الجنوب، والأكراد في الشّمال، وطبائعُ هذه الشّعوب متضادّة بشكل جذري، والعربي الأصلي هو كائنٌ غريب حقًّا، وعقله معقّد، ومليء بالثقافة، وبالضرورة ينجذب للشّعر والمناظرة المنطقية والبلاغية، والتّمثيل الكلامي، ولديه نظرة واسعة للأمور في كلّ المواضيع، ويمكن مناقشتها، ونطاق خبراتِه واسعة، ولكن عند تناول أيّ موضوع ماديّ يبدو شكله ساخرًا كمهرّج، وهو يكره العمل ويُبغضه، وقدرته على الجدال تزوده بالأعذار، وهو يصرّح بأنّ العمل مُهين، ويقلّل قدره، وبالتّالي فهو يتهرب من كونه غيرَ كفء، وكسولًا وعاجزًا.

ويقول إنّ زراعة الأرض وإقامة خيمةٍ بطريقة معقولة أو مداواة خيل أو مداواة حصان أو طهي الطعام أو بناء منزل؛ هي أعمالٌ حقيرة تحطّ كرامة الإنسان، وتجعل الشّخص الغربي المتحيّر أمام هذا العربي في وضع ساخر، فالعربي شخص ذو قيمة، لكنْ شخص غير مفهوم، وليس لديه طبائع أكثرً تميّزًا، ومع أنّ العربي لن يعمل فهو لا يتردّد في أمور المال قبل جاذبية الكرامة والشّعر، والتي تختفي حينئذ مثل الهواء.

وأرفعُ وأحطّ العرب يتساوون في هذه النّقطة لكي يحصلوا بأسرع ما يمكن على كلّ النقود المتاحة لهم، مهْما اعتبرت الوسيلة مهينة فلا يعتبرونها كذلك، ولكن حتّى هنا يستخدم الجدل اللّبق والكيّس، فالعربي لا بدّ أن يثبت أنّه دائمًا على حقّ من خلال النّفاق المعقّد والمتفنّن، فهم لا يتعلّمون شيئًا منّا، فإذا أراد العربي أن يسرق ضيفَه فإنّه يتكلّم أوّلًا عن أمور الشّرف وكرم الضيافة، ثمّ يستدرج الموضوع متكلمًا عن سبب سفرك خلال اقتراحات بأنّ الجواسيس والأعداء لا يمكن أن يدعون كرم الضّيافة مشيرًا إلى أنّه نفسه فقير، ويسأله نفسه إذا ما كان لا ينبغي أن يحتجزك كأسير، ثمّ يذكر ثانية أنّه في حاجة، وبالتّالي يبتزّ الأموال أو يأخذها بالاحتيال، وإمّا بالطّلب المهذّب أو التهديد، وهناك شخصية أخرى للعربي وهي كرهه الشّديد للمذابح والهمجيّة، وقبائل الجزيرة في حرب، وأعتقد أنّه من العجيب والسخيف أن نتهمهم بالجبن؛ لأنّ هذا يثبتُ العكس، ومَن يتعامل معهم يعرف جيدًا انعدام صفة الانتقام لديهم، وطبيعة الرّحم العجيبة في حروبهم، فالعربي لا يحارب إطلاقًا لكي يقتل، فهدفُه هو الأسر أو هدم القوّة، أو إخافة الأسرى؛ وربّما يسبب ضررًا، أو يحرق القرى... إلخ، لكنّه لا يقضي على الحياة دونَ داعٍ، أو يرفض الاستسلام، ولن يضرب مريضًا أو أسيرًا، وعلى الجانب الآخر فعربُ الصّحراء ربما يسرقون أو يسيئون إلى جيرانهم الأضعف منهم بشكلٍ طاغٍ همجي، وذلك غالبًا لمنع الزراعة. وأخيرًا من أعظم النّقاط في عقلية واتّجاه العرب همّا الفخر والكبرياء الأرستقراطي؛

فالعربي يفتخر بنسبه ونسبِ خيوله، ويقول لك إنّه من أفضل الأنساب في الجزيرة، وربّما يريك حصانًا فحلًا جيدًا يتبعه أو حيوانًا آخر، وهو بلا شكّ يعجب بالحيوان رديء النّسب، ويفضّله على أفضل السلالات المهجنة.

وبخصوص شيوخهم وزعماء القبائل، فهُم يميّزون بدرجة مماثلة بين المحارب البارع والسّياسي الماكر، وبين رجل الأعمال الجيد بسيط النّسب، وبين الشيخ رفيع النّسب الذي ربما يكون كائنًا بائسًا مصابًا بالصّرع، ويسيء لأبناء طبقته.

نتّجه الآن لأحوال وتوزيع عرب الجزيرة.

يمكن تقسيمُ العرب إلى فئتين:

١. الذين يعملون قليلًا.

٢. الذين لا يعملون إطلاقًا.

والفئةُ الثّانية هم كبار القبائل الرعوية في Anazeh عنيزة و Shammar

شمر وعدوان Adwan، وطاي Tai وهي قبيلة بدوية كانت في الجزيرة عبر أجيال عديدة، ويفترض أنّهم هاجروا شمالًا قبل أيام محمّد (صلى الله عليه وسلم) بكثير، وشمر الذين يشكّلون أغلب سكان البدو هُم أحفاد غزاة كثيرين احتلوا مكان ما منذُ مائتين عام، ويشغلون الآن الجزءَ الأكبر من المراعي بين الخابور ودجلة جنوب سنجار، ويبدو أنّ عنيزة المستقرّين على الضفة الغربية للفرات قد هاجروا هناك خلال الأعوام الماضية القليلة أساسًا بسبب تطوّر الزراعة الكبير في شمال سوريا.

و Adwan عدوان– وهي قبيلة فرعيّة من عنيزة– يبدون أنّها تدفّقت شمالًا في أعقاب غزو شمر، وحياة هؤلاء البدو كلّهم بسيطة، وتتكون ثرواتهم أساسًا

من الغنم والجمال، وعملهم هو رعيها، وفي الشّتاء يكون الاتّجاه شمالًا، وفي الخريف والصيف نحو الجنوب.

ولكنْ لا تكاد توجد قواعدُ ثابتة، ومنابع المياه كثيرة، بحيث لا يضطرّون للبحث عن موقع استقرار، وعملُ حياتهم الأساسي هو المحافظة على الحروب المستمرة التي يتمسّكون بها مع بعضهم، وطريقة الحرب تقتصر تقريبًا على استخدام الرمح أو الحربة، وهي عبارة عن خيزران خفيفٍ طولُه حوالي عشرون قدمًا، ذي رأس مسنّن كالسّكين، وتشكيلاتهم تتكوّن من جماعة من راكبي الخيول من مائتين إلى ثلاثمائة يندفعون نحو صفوف العدو، والبعض يموت والآخرون يحملون الغنيمة.

والدّفاع ضدّ الحشود من هذه الهجمات يكون مماثلًا، والطريقة المعتادة هي المواصلة السّريعة ومحاولة صدّ المهاجمين، ولكن بصفة عامّة يكون وضع التميز للقوى المهاجمة لأنّ المدافعين يسعون عادةً لتجميع أنفسهم خلال هجمة مماثلة، وليسَ استعادة الطّرق المفقودة مباشرة، وهنا نلاحظ صفةً غريبة للعرب لأنّ الطرف الآخر إذا كان شديدَ الاستعجال ربّما يطغى على الحيوانات المأسورة بعنف فيتلفها، وقواعدُ الحرب في الجزيرة ولدى العرب هي ما يراها الفرسانُ الحمر والبيض في أوروبا، فإنّ قتلَ العدو في المعركة مرفوض، ومستقبَح، ولكنّ الهدف هو الإصابة بجرح طفيف برمح الخيزران، والأسْرُ غير مكروه، والفرارُ مباح مثل الهجوم، والقيام بالإغارة ليلًا ممّا يعتبر عارًا أو فضيحة أو يعتبرُ موضعَ معايرة، والمعسكرات في الواقع تكون خارجَ الحدود لنفس الأسباب، وهكذا نرى أنّ الحرب في الجزيرة هي نوع من أنواع الرياضة الموسعة.

وقد شاهدتُ أحدَ أعمال الإغارة، والذي أقنعني أنّه نوع من الرّياضة به إثارة ومتعة وتشويق وبهجة، ولهذا أعتقدُ أنّ بدو الجزيرة هم أكثر مَن يحبّون

الرياضة في العالم، رغم عدم اهتمامهم بالفروسيّة والجري، وبالنّسبة للبدوي لم أرَ أحدًا يتكلّم عن الغزو بشكل حاقدٍ وبه كراهية، فلا يوجد عداوةٌ شخصيّة كبيرة وراثية بين الأعداء، ولكنْ أحيانًا توجد أشياء مخزية يتمّ فعلُها، لكنّها في ظروف نادرة، والجانب الوحيد المرفوض للحرب بين القبائل هو الطّريق الطائشة التي تنهب بها قبائل الرعاة فقراء المزارعين من أعدائهم، والذين ليس لديْهم خيول أو أسلحة، ويعجزون عن الدفاع، حيث يعتمدون على أسيادهم.

والآن، نتناول أحوالَ المزارعين من العرب كقبائل الولدي Weldi وغيرهم، إن هؤلاء الأهالي المقيمين في خيام تشبه قبائل البدو، يلتصق بهم اسم الفلاحين منخفضي المنزلة، ومعناه أنّهم يهبطونَ لدرجةِ العمل في أراضيهم بأيديهم، وعملهم هذا رديء جدًّا، لكن تلوّث الطين بأيديهم ينزلهم أو يصغرهم في عيون عرب الصحراء.

وفي الطّباع باستثناء كرمهم الزّائد مع الأغراب، فهُم على اتّفاق مع نظائرهم من الرّعاة من حيث أصل النّسب الرفيع، والتحامهم بالزوجات لا يعتبره أحدٌ عيبًا حتّى أرفع الناس.

وتعتمد ثروتُهم على محاصيل الذرة والشعير والحبوب التي يزرعونها على ضفاف الأنهار، وأحيانًا على قطعان الجاموس، وهذه القبائل باستثناء Jibbur الجبور تعيش في خضوع للجيران الصحراويّين الذين اعتادوا أن يدفعوا لهم الجزية الكبيرة جدًّا، ورغم نشاط الحكومة لصالحهم فهي لا تستطيع حمايتهم من الإزعاج المستمرّ، ومؤخّرًا.. فالكثير من Baggara الباجار تركوا الزراعة على ضفاف الخابور، واحترفوا الرعي.

وهؤلاء المزارعون مثلَ باقي عرب سوريا، يتركون قدرًا كبيرًا من العمل للمرأة، فنرى المرأةَ تحمل طفلها على ظهرها، وهي تحرُث أو تحفر قناة، بينما الرّجل يستريح في الخيمة، وهؤلاء العرب برغم كسلِهم فهُم ليسوا أغنياء مطلقًا. وكلّهم مقتنعون فكرة أنّ مجيء السكة الحديد سينتج ثروةً كبيرة وسعادة لهم.

لكنّهم بدءوا يتشكّكون منذ بلوغهم شائعة خطّ وادي الفرات إليهم في الخمسينيّات، وأنا أرى أنّ حبّهم للمال الشديد سيدفعهم للمزيد من العمل مستقبلًا، وذلك لأنّه حاليًا فالمقابل الوحيد للعمل هو الرّاحة الشخصية والتي لا يرغبها عرب الجزيرة في الظاهر. إنّ حبّهم للتوفير بالطبيعة غير عادي. وطعامهم الوحيد هو بعض الأرز المسلوق أو القمح والخبز الجاف، وبعض التمر في الزبد أو لحم خروف مريض... إلخ. وذلك مع توفّر الثروات لديهم.

ونتحوّل الآن للأكراد، وهُم شعب غيرُ مفهوم، يحتاج تاريخهم للتدوين، وحتى توزيعهم فهوَ غير معروف حاليًا بما يكفي. وبخصوص توزيعهم العام على الإمبراطورية العثمانية، واختلافاتهم العرقية، يجب إحالتكم إلى المذكرة التي ألحقتها بهذا البحث، والآراء التي أذكرها الآن تشير فقط لهؤلاء الأكراد المقيمين بالمناطق موضوع المناقشة حاليًا، ولا يشملون أكراد الأناضول، و Pagans الوثنيون وشيعة Dersim درسيم، و Zazas الزازا شمال Diarbekir ديار بكر، وأكرادZilan الزيلان شمال بحيرة Van فان و Kizilbash القيزل باش بين Erzerum أرضروم و Erzinjan أرزنجان، وأكراد البابا على حدود فارس الجنوبية، وفرع Kochkiri الكوتشكيري وغيرهم في الإمبراطورية.

والأكراد في المنطقة موضوع الدراسة من أربعِ فئات منفصلة نسبيًّا:

١. هؤلاء السّاكنين على المنحدرات الجنوبية في (كارجا داغ) التابعين لاتّحاد الميلي.

الزاز و Karagech الكاراجيتش الذين يسكنون الإقليم حول Severek سيفريك، ويغطّون السّهول بين ديار بكر، و Tur Abdin طور عابدين، والشّعوب المختلطة لطور عابدين، والأيزيديين من سينجار.

وهناك اختلافٌ جذريّ بين العربي والكُردي، أنّ الكُردي الأصلي من أبسط وألين الأشخاص في العالم باستثناء المسائل الماديّة، واحترامه للقارئ والكاتب عظيم. وطبيعته مضادّة للتأمّل الفلسفي أو ما شابه، ويجد صعوبةً شديدة في الدخول في مناقشة فكريّة، لكنّ حبّه الفطري البدائي للحقائق العلمية والماديات ذو طبيعة مباشرة، فهو لديه ما أسمّيه (نوع من العقلية الغربية) ومع أنّها غير متطورة بخلاف النمط الشرقي.

وكمثال، ففي طريقي للمنزل، أتيحتْ لي فرصة جيدة أنْ أقرأ Puck of pokes hill، ولفتتْ نظري زوجتي للتّشابه بين طبيعة الفارس القديم وبين عدة زعماء أكراد نعرفهم، والشّبه حقًّا غير عادي. وإذا كان Mr. Kipling السيد كيبلين قد سمّى الفارس Abdo Agha "عبده أغا"، وأعطاه ثيابًا مناسبة، فلن تكون لديكم ثورة أكثر ملاءمة للكُردي الحديث النبيل.

والأكراد عمومًا صُرحاء وصامتون، هادئون وساذجون لحدّ ما، ولا يقدرون على التّزييف أو الخداع، وإذا ارتكبوا خطأً- وهذا يتكرّر- فهُم يعترفون به بكلّ بساطة ووضوح وصراحة.

لقد سألت قائدَ بغال كان معي (هل قتلت سابقًا؟) فأجاب (نعم، ستّة عشر على طريق khazat خازات حينما كنت بالصّحراء تبعًا للجيش) مع أنّه كان مخلصًا أمينًا، وقال ذلك مباشرةً وبثبات، وسألت (هل كنت لصًّا؟) فأجاب: (نعم، ولكن الحمد لله الآن فأنا متزوّج وسائقٌ للبغال).

وإحدى الصّفات الصامتة في الكُردي هي الكرمُ في الأموال والضيافة الحميمية، وهي حقيقة بدون تفاخرٍ كما عند العرب، ويقدّم للضّيف أفضل ما هو موجود، سواء كان غنيًّا أو فقيرًا، دونَ انتظار مقابل. والمثال التالي يوضّح الشّعور العام بخصوص المقابل (مع الخادمين خصوصًا).

لقد كنّا مسافرين خلال أحد الأقاليم وسط إحدى القبائل الدّاخلة في الحرب مع الحكومة، وتوقّفنا لتناول الغذاء في قرية فقيرة، وأصرّ الزعيم على أن نشاركه الطعام، وطلبَ من الأهالي تقديم الأشياء الجيدة، وبعد الطّعام أعطيت بعض القائمين بالخدمة نقودًا، لكنّ المستضيف جذبَ النقود سريعًا من يد الرجل، وألقاها وداس عليها بقدمه وهو في حالة ثورة.

لكنّ هذا الذّوق الرفيع يتحقّق فقط عند حياة الناس في ظلّ زعيم قبيلة. وحينما يعملون كفلّاحين عاديّين يأخذون النقود، ويسعون وراءها. لكنّهم لا يلحّون في الطلب بفظاظة العرب، أو مسلمي الأناضول واندفاعهم.

ومِن طبائع الكُردي خجلُه الغريب من أصله، فالأغا الكُردي يحاول إقناعك بأنه من أصلٍ عربي.

وإذا ارتكب جريمةً فهو يقول: "إنّني مجرّد كُردي، ولا أعرف أفضل من ذلك". وإذا سألته سؤالًا دينيًّا يجيب: "إنّني كالحيوان، ولا أعرف شيئًا".

والأكراد يتميّزون بالطيش في مخالفة قوانين الحرب المتعارَف عليها، وسفير العدوّ لديهم لا يكون معصوم الدم.

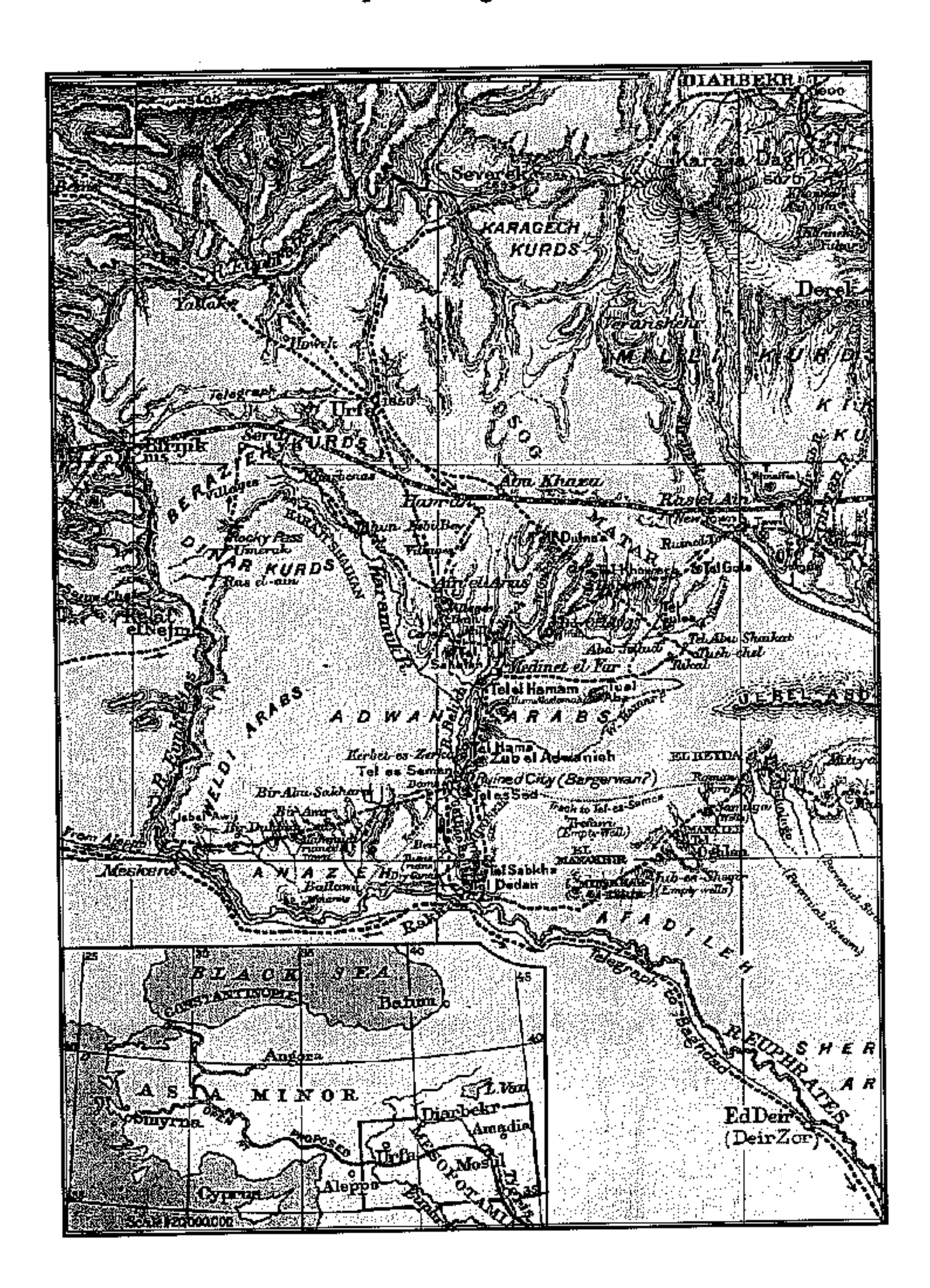
وبخلاف بعض الاستثناءات فالأكرادُ مجتهدون للغاية، ويدركون أهمية التقدم المادي، وخيامهم مريحة، وجيّدة التكوين، ويبنون بيوتًا جيدة.

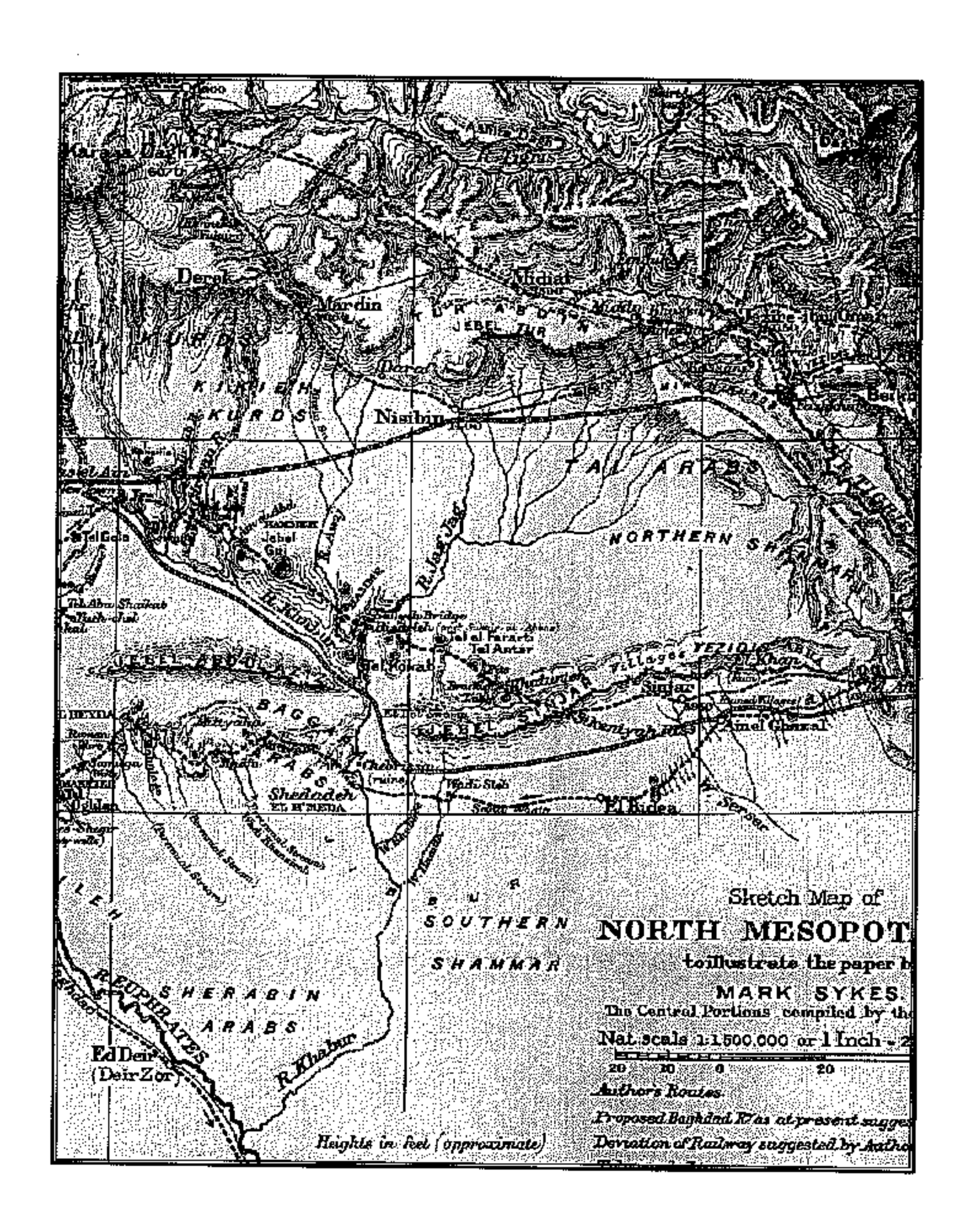
والكُردي يعتاد الاعتمادَ على المسيحي ليقوم بالعمل اليدوي له. وإذا لم يوجد، يقومُ به الكُردي أفضلَ منه، وهناك عادةٌ كُردية أخرى تصف فضائلهم، وهي معاملتهم للنّساء، فهم لا يلبسونهم الحجاب، ولا يفرضون عليهنّ العمل اليدوي الشاق.

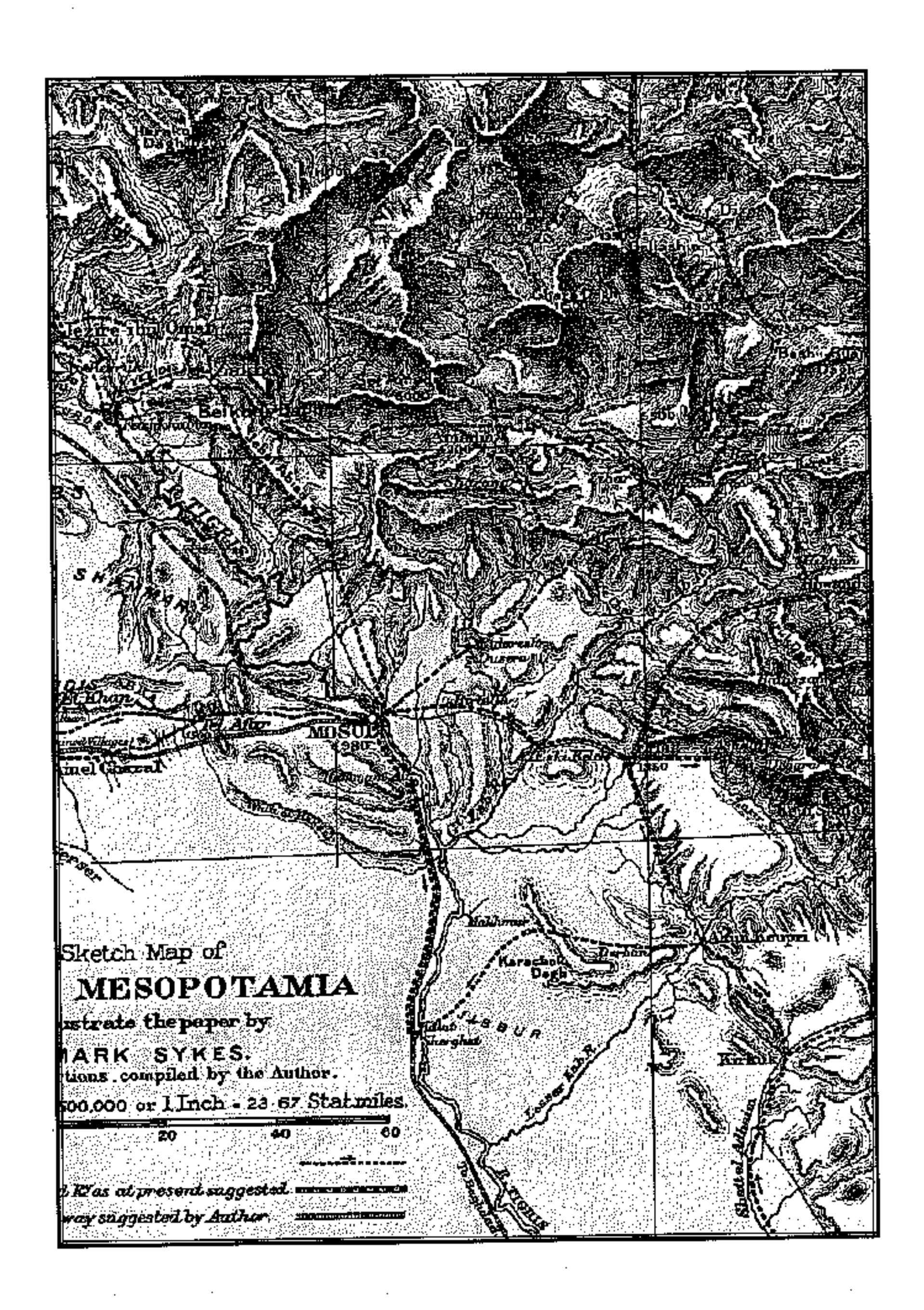
ونساؤهم جيّدات الأزياء، ولديهنّ حرية السفر، والردّ على أزواجهن، ويعبرن عن آرائهنّ في الأمور العامّة بصوت مرتفع.

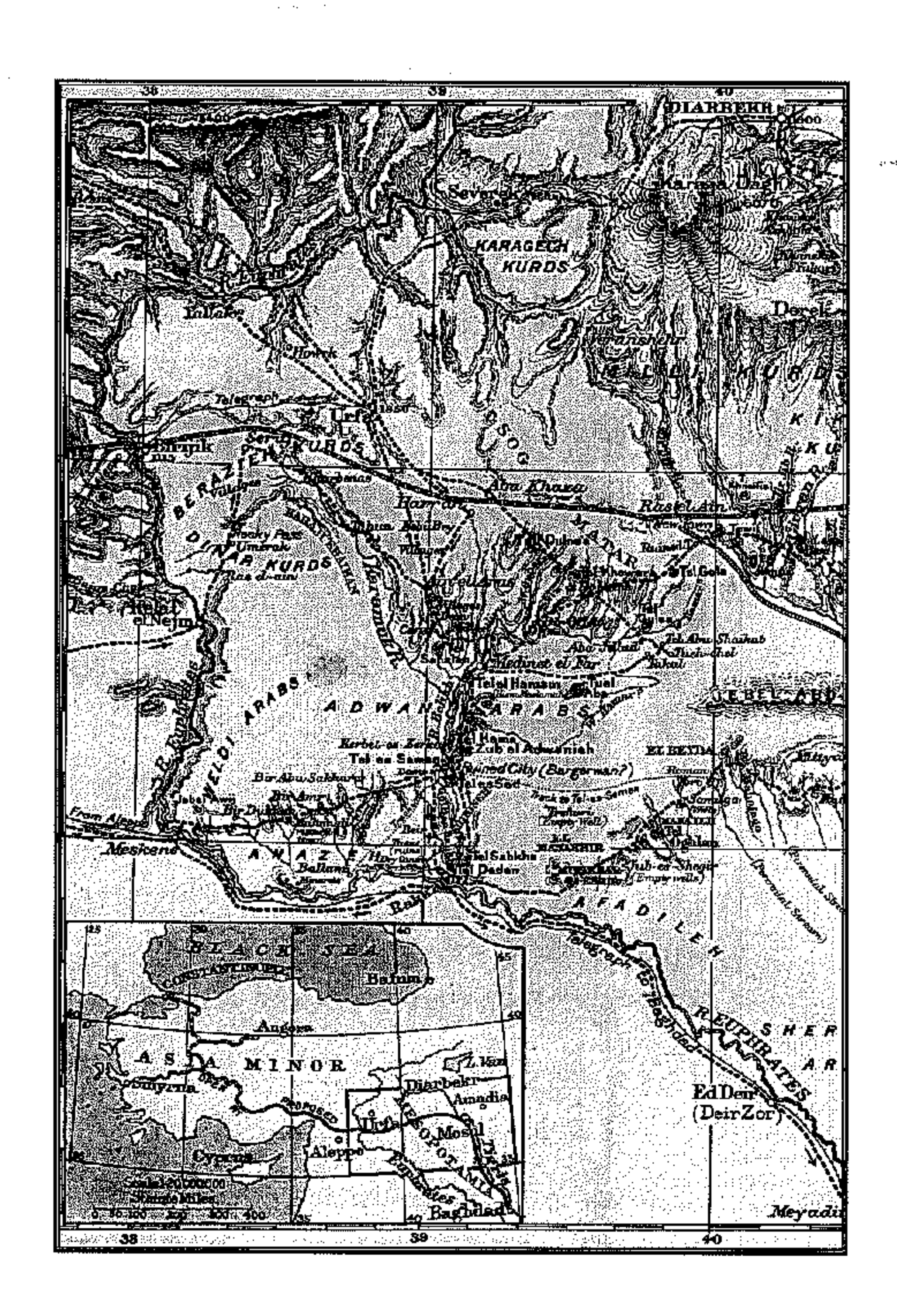


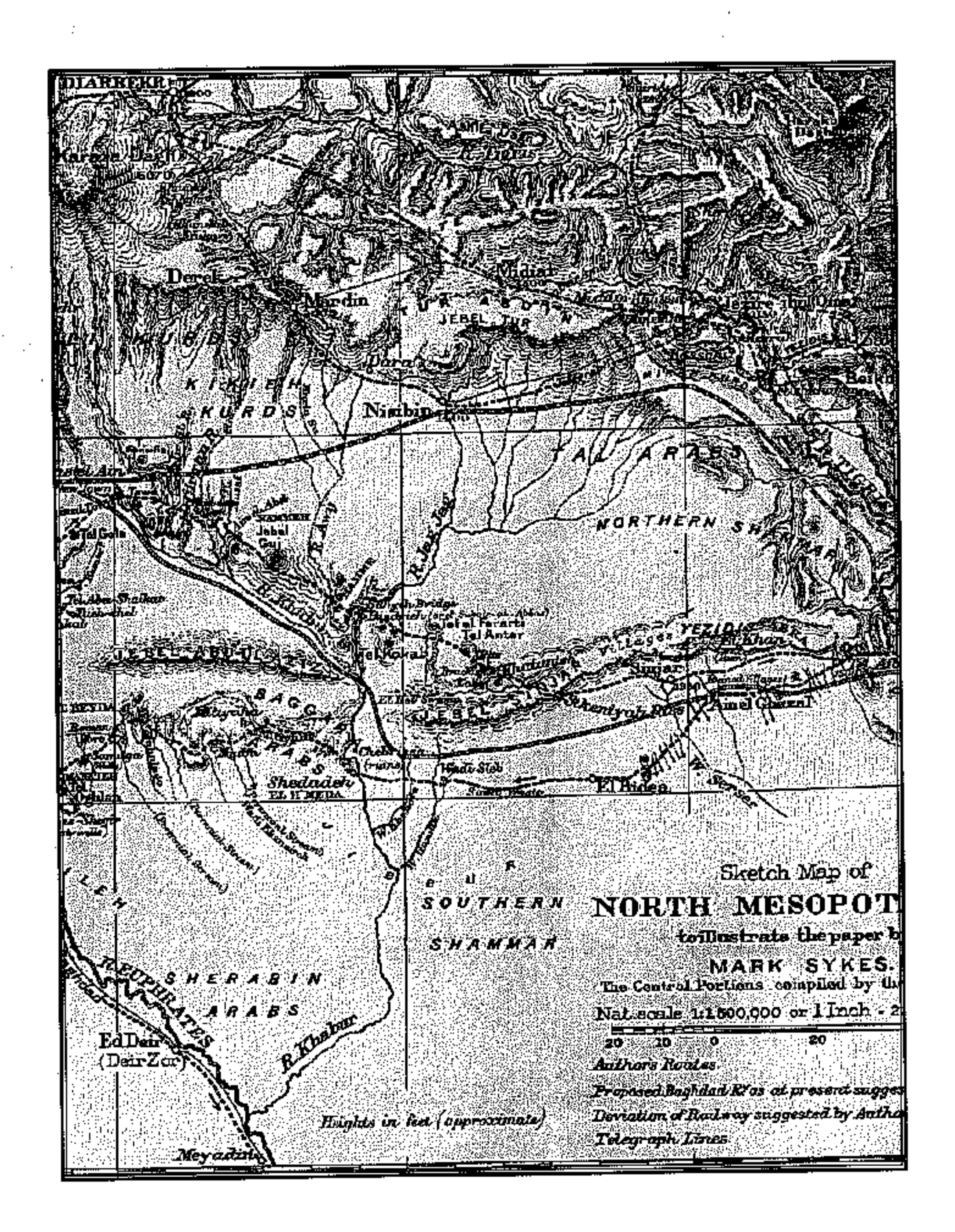
ملاحق المقالة الثانية




Derek
Mardin
Midiat
JEBEL TUR
Nisibin
KURDS
TAI ARABS
NORTHERN SHAMMAR
R. Tigris
R. Jag-Jag
R. Khabur
Jebel Guil
Tel Afar
Tel Antar
Sinjar
Jebel Ghazal
El Bidea
Shedadeh
Wadi Sleb
W. Sersar
SOUTHERN SHAMMAR
SHERABIN ARABS
R. EUPHRATES
Ed Deir
(Deir Zor)
Heights in feet (approximate)
Sketch Map of
NORTH MESOPOT
to illustrate the paper b
MARK SYKES.
The Central Portions compiled by th
Nat. scale 1:1,500,000 or 1 Inch = 2
Author's Routes.
Proposed Baghdad Ry as at present sugge
Deviation of Railway suggested by Autho


Sketch Map of
MESOPOTAMIA
strate the paper by
ARK SYKES.
tions . compiled by the Author.
500,000 or 1 Inch = 23·67 Stat.miles.
20
40
60
R'as at present suggested.
way suggested by Author.
MOSUL
TIGRIS
Kirkuk
Altun Keupri
Karachok Dagh
Lesser Zab R.
Eski Kelek


DIARBEKR
Severek
KARAGECH
KURDS
Urfa
KURDS
Birejik
Abu Khaza
Harran
Ras el Ain
DINAR KURDS
ADWAN
ARABS
Medinet el Far
Tel el Haman
Ruined City (Bargerman?)
Meskene
AFADILEH
EUPHRATES
Telegraph to Baghdad
Ed Deir
(Deir Zor)
BLACK SEA
Batum
Angora
ASIA MINOR
Smyrna
Diarbekr
Urfa
Mosul
Aleppo
Cyprus
Baghdad
MESOPOTAMIA
Meyadin


DIARBEKR
Derek
Mardin
Midiat
JEBEL TUR
Dara
KIKIEH KURDS
Nisibin
TAI ARABS
NORTHERN SHAMMAR
Jebal Gaal
R. Jaghjagh
Tel Antar
YEZIDIS
Tel Kokab
JEBEL ABD UL AZIZ
BAGGARA ARABS
Sinjar
Amel Ghazal
Shedadeh
El Hidra
SOUTHERN SHAMMAR
R. EUPHRATES
SHERABIN ARABS
Ed Deir
(Deir Zor)
R. Khabur
Meyadin
Heights in feet (approximate)
Sketch Map of
NORTH MESOPOT
to illustrate the paper b
MARK SYKES.
The Central Portions compiled by th
Nat. scale 1:1,500,000 or 1 Inch - 2
20 10 0 20
Author's Routes
Proposed Baghdad R'as at present sugges
Deviation of Railway suggested by Autho
Telegraph Lines


Sketch Map of
MESOPOTAMIA
ustrate the paper by
MARK SYKES.
tions, compiled by the Author.
500,000 or 1 Inch = 23·67 Stat.miles.
20
40
60
R'ys at present suggested
way suggested by Author
MOSUL
TIGRIS
SHAMMAR
Kirkuk
Altun Keupri
Karachok Dagh
Lesser Zab R.
R. TIGRIS

المقالةُ الثّالثة

رحلاتٌ في شمال بلاد ما بين النّهرين **Mesopetamia**

(تتمّة المقالة السّابقة)

مارك سايكس



رحلة في شمال بلاد ما بين النّهرين Mesopetamia

بعدَ النّظر للخصائص العامّة، يمكننا الآن الاتّجاه لبحث الأكراد بالتفصيل، ويطول المنحدرات الشّمالية في كاراجا داغ لدينا مجموعةٌ من الأكراد القبليّين وغير القبليّين من أدنى الفئات والأوصاف، ومن البدو وأشباه البدو، وجميعهم جبناء بطريقة حقيرة، ويتّصفون بالحقارة والقسوة، ويظهر عليهم الكسل، وربّما أنّ الرّحالة يستنتج من هؤلاء الأهالي صفات ذميمة عن كلّ الجنس، مع أنّ هناك استثناءً للقاعدة هو الأكراد شمال بحيرة فان Van وغيرهم. وبين أورفا وبيريجي، نجد شعبًا مختلفًا للغاية.

وقبائلُ ديناردية Dinardieh وبارازيه Barazich، وهم سياسيون متمردون أو محاربون شجعان، أو أصحاب قطعان أثرياء ومزارعون مكافحون، وبارازيه وديناريه، رغم اتّخاذهما للزيّ العربي في أغلب الحالات؛ فهُم أكراد خالصون، وهم مثل ممتاز لخامة الكُردي النّافعة اقتصاديًّا، المُمكن استغلالها عند توجيه طاقاته في الاتجاه الصّحيح، وهناك الآن حوالي ٣٦٠ قرية عامرة في أنحاء Seruj سيروج، ويسكنها الأهالي الذين كانوا منذ فترة قريبة يسكنون الخيام.

وفي ضواحي حران هناك قرى عديدةٌ من أكراد وعرب مختلطين، ولكن حيث لا يوجد لهم تنظيمٌ قبلي أو زعماء، فإنّ مصيرهم سيّئ الحظّ، ولكن رغم كونهم غير محاربين مثل العرب الفلّاحين، فهُم أكثر اجتهادًا وكفاحًا بكثير.

نأتي الآن لمنحدرات "كاراجا داغ" الجنوبية. إنّ هذا القسم من البلاد بالكامل في أيدي إبراهيم باشا، من كبار نبلاء وزعماء الحميدية Hamidieh.

إنّ إبراهيم باشا بلا شكّ هو أهمّ الأشخاص في الجزيرة، وحينما بدأ حياته في سنّ عشْر سنوات كان والده سجينًا في ديار بكر، وكان هو لاجئًا مفلسًا في مصر، وهوَ الآن يبرز كقائدِ لواءٍ في الجيش التركي، ورئيس ١٤ ألف من الرماة والفرسان، وقائد اثنين وعشرين قبيلة منفصلة، وزعيم أكراد الميلي Milli، وأم إبراهيم باشا كانت عربيّة من أشرف الأصول، وأبوه زعيم كُردي شهير.

وفي إبراهيم تتحقّق خصائص جنس كلٍّ من الأب والأمّ، وهي القدرات البناءة والعملية الكُردية، إلى جانب المواهب العقلية والإنسانية الخاصّة بالعرب، وإبراهيم له أعداءٌ كثيرون، فمنصبُه يستدعي أن يكون في حرب دائمة مع جيرانه، والعرب والأكراد خارج اتّحاده يرغبون في قتله، لكنّه لم يتّهم بأيّ عمل مشين أو فاضح.

ورغم أنّه شخصيًّا لم يكن متحيّزًا لصالح الأرمن، لكنه لم يتردّد في أن يهدد بتدمير سوفيريك Suverek إذا تمّ قتلهم هناك، وهكذا أنقذ مئاتٍ من الأرواح. وحينما وصلت الأمور لقمّة السّوء في ديار بكر وأورفا، فقد قام بحماية الآلاف في مقرّ قيادته، وقدّم لهم الغذاء مجانًا في فيرانشهر Veranshehr لمدة شهرين.

وحينما خفت الأزمات أعطاهم الخيارَ في البقاء بأراضي يزرعونها في سلام، ولا يمكن أن يحقدَ عليه أحدٌ بسبب الثروة التي جمعها، وهو يقول إنّ الرسوم التي يفرضها على المستوطنين في بلاده معقولة، ويثبت ذلك أنّ الأرمن المهاجرين يتزايدون في فيرانشهر كلّ عام.

وحيث تركنا إبراهيم واتّجهنا شرقًا وصلنا لمنطقة طور عابدين الصخرية، التي يسكنُها شعبٌ خاص، ينقسم أهلُه عادةً إلى طبقتين؛ المسيحيّين اليعقوبيين، والأكراد، وأظنّ أنّ أهل طور عابدين جميعهم من جنس واحد وهو "الكُردي"، وينقسم هؤلاء النّاس إلى عدّة قبائل، والبعض يتكلّم الكُردية، وآخرون يتكلّمون

لهجة عربية ركيكة، وحيث تنتشرُ المسيحية في هذه القبائل، فهناك بعضُ الزّعماء مسيحيّون، وتختلف هذه القبائل عن جيرانها، وتتميّز بإهمال فنّ الحرب ونسيانه لفترة طويلة بدون تأثير، ورجالُ طور عابدين قد اعتادوا على قتل بعضهم البعض مؤخّرًا، بصرف النظر عن العقيدة، وإذا لم يكتفوا بالقتل يقومون بحرق وتدمير ممتلكات بعضهم البعض بأكثر الطّرق همجية، وبالتّالي تتناقص القرى بين السهول وبين ميديات Mediat، ولكن شمالَ ميديات وحتّى نصل لمنطقة سهل ديار بكر الرديئة نجدُ منطقة مأهولة بالسّكان ذات ثراءٍ ومواصلات، وإحدى القبائل التي تسكنها تعرف باسم ماهاليمي Mahalemi وهؤلاء الشّعب، والذين يتكلّمون العربية حسب تقاليدهم، كانوا مسيحيّين، لكنّهم اهتدوا للإسلام منذ مائتي عام؛ لأنّ الأب لديهم لم يسمح لهم بأكل اللّحم خلال أحد أعوام المجاعة، ولا يزال في طور عابدين يبقى أحدُ الأديرة الجذابة.

وفي دير عمار، فالدّير به بعضُ الفسيفساء الجميلة. والسّقف مغطى حسب الطّراز الروماني، ومثلما تسقف المنازل التركية الحديثة حاليًا، ويلفت نظري أنّ القرية التي يغلب فيها المسيحيون، لا يزال التمسّك بالقبو المستدير في البناء بينما في أماكن الأغلبية المسلمة، يحلّ محلّه القبو المدبب.

وبين "طور عابدين" وجزيرة ابن عمر Ibn Omar، نجد أراضي تعسكر أكراد الميران Miran، وهي قبيلة حصلتْ على أهمية مؤخّرًا، لكنّها تضعف وتفقد سلطتها الآن.

وعلى الجانب الشّمالي لجبال سنجار Sinjar، هناك بحيرة مالحة نادرة تعرف باسْم بحر خاتونيه Khatunieh ، وفي وسط هذا المستنقع توجد جزيرة ترتبط بالأرض اليابسة خلال ممرّ.. وعلى الجزيرة قرية يسكنُها الفلاحون العرب.

وأعتقد أنّ قرية خاتونيه Khatunieh إحدى المناطق الكئيبة للغاية لأن موقعها رديء وكئيبٌ وقاحل، والتلال في الخلفية صفراء اللون، ومياه البحرية القاتمة الكئيبة تزيد ظلمتها الرّياح التي تهبّ خلال التضاريس السوداء القاتمة، والرياح تحملُ رائحة رديئةً باستمرار، هي رائحةُ مستنقع الملح، بينها القرى ذاتها تتفق مع أجوارها في أنّها مجرّد مجموعة أكواخ منخفضة الارتفاع، ونصف ارتفاعها محفور تحت الأرض.

وتشبهُ زرائب البهائم أكثرَ ممّا تشبه مساكنَ البشر، وحول تلك الثغرات التي يتسلّل خلالها البشرُ إلى هذه المأوى يتجمّع ركام وقمامة سنوات التي تفوح منها رائحةٌ نتنة من التعفّن، وهؤلاء المساكين المقيمون بها هُم أدنى أبناء جنسهم في المستوى، وهُم خاضعون للمرض والفقر والتخلّف وانحطاط الفكر، وهذه مناظر مؤلمة تضيع سعادةَ الرّحلة التي لم أشعرْ بها لطولها ومللها، لكنّ الناس كانوا فصحاء وبُلَغاء أكثر من باقي العرب، وهُم لم يقدّموا لنا مكان الاستراحة إلّا بعد إلحاح.. وبالقوّة، وهُم أفظاظ أجلاف متعجرفون.

ولِنَصفِ الآن سكّانَ الجنوب الشرقي، وهم عبدةُ الشّيطان في سينجار Sinjar، إنّ هذا الشعب الفريد- الذي تميّزتُ بلقائه- لا أعرف عنه الكثير، والسّبب سيتضح حينما أقرأ عليكم مذكراتي:

وفي الصّباح انطلقنا ثانية نحو سينجار، ووصلنا بعد أربعة ساعات ركوب، قاع ممرّ سيكينيه Sikeniyah ، وأنا على علم بأنّ اليزيديين الذين يسكنون الجبالَ هُم شعبٌ ماكر، وأنّهم يتألمون تحت الاضطهاد الشديد... إلخ.

وهُم شجعان، ومهذّبون، ومجتهدون، ويحبّون الحرية بالفطرة، ويمتلكون جميع الفضائل الأخرى الممكنة، لكنْ هذا كلامٌ نظري لم أتأكّد منه عمليًا.

وما إنْ دخلنا الممرّ، حتّى وجدنا مفاجأة سيئة بأنْ رأينا أربعة رجال في أزياء بيضاء مسلّحون بالبنادق، يقفزون من الأرض ويرفعون أسلحتهم في شكل تهديد.

لكنّ رجلًا عجوزًا على تلّ بعيد صاح قائلًا كلماتٍ بلسان غير مبين، ثمّ اختفى الرّجال سريعًا، ثمّ تكرّرت هذه الحالة بعدها بقليل، وكان الرجال مظهرهم بربري فظّ تبدو عليهم شراسةُ الحيوانات في نظرات عيونهم حتّى يبدو أنّ هذا وكرٌ للشيطان.

وبعد الركوب والصّبر لمدّة ساعة، وصلنا مكانَ إقامة صغير، ولم نلقَ كلمة ترحيبٍ واحدة، وعند تناولنا للغذاء، اختطفه من يدي رجلٌ شرسُ المظهر والتهمه في صمت. وعلى جميع التّلال كانت أشكال بيضاء تحوم، يصيحون بصخب ويسيرون إلى جماعتي، وسرعان ما جاء رجلٌ طويل أسمر أو شاحب، وحدّثنا بالعربية قائلًا:

"سوف أذهب معك.. تقدّمْ بسرعةٍ فإنّك سوف تسبّب لنا مشاكل إذا بقيت ومشاكل لنفسك، اركب وانطلق".

وقد عملنا بنصيحة الرّفيق، وبدأنا السّير، ورافقنا الشّيخ.

وحينما مررنا بمعسكرٍ آخر جاء تجاهنا مخلوقٌ غريب الشكل، يصرخ قائلًا: "خواه خواه Khoweh، ضرائب، ضرائب"، وأمسك بلجام أحد الخيول، وأوقف القافلة، وتدفّق الناس من المعسكر يصفرون مُعطين إشاراتٍ للآخرين الذين جاءوا يجرون من الحقول، فقال الشّيخ: ادفع له إنّ هناك خطرًا، فأعطينا هذا الوحْش هذه النقود، ونحن متأفّفون متضايقون، وركبنا بأسرع ما يمكن، ولم ننزل حتّى وصلنا معسكرَ خليل أغا أحدِ زعماء الأعيان بين هؤلاء الأهالي، وخليل أغا وهو رجلٌ ذو ملامح غريبة وشريرة استقبلنا بتحفّظ وبرود، لم يشجعنا كثيرًا

بعدَ الأحداث السابقة، وبينما جلستُ في خيمة هذا الأغا جاءت أفواج من حراسة بيض الثياب، وحملقوا فينا في سكون عابس، وكان هؤلاء اليزيديون ذوي منظر مُريب، وملامحهم ضئيلة وضعيفة، وخصوصًا الوجه، ولهجتهم جريئة وعدوانية، وحيث إنّ الأنف لديهم عموما ليس مستقيماً أو مقوسًا، لكنّه مدبّب ومائل لأسفل بحيث يتلاقى مع الشّفاه العليا، فهذا يضيف إلى سوء منظر وجههم، وأصواتهم صاخبة وشرسة، وسلوكهم غليظٌ وغير مهذب، وأجسامهم رشيقة ونشطة وتشبه الأوتار المرنة، وطولهم فوقَ المتوسط، وأزياؤهم أغرب ما يكون في شكلها، وعلى الرّأس هناك قبّعة مخروطية بنيّة طويلة، حولها يلتفّ عمامة سوداء أو حمراء، والجسم ملفوفٌ في قميص أبيض طويل فضفاض مقصوص بشكل مربع عند الرّقبة، وعباءة قصيرة من الجلد البني وحذاء مجدول مدبّب ليكمل هذا الطاقم، وحينما رأيت هذه الأشكالَ الغريبة حولي كان يبدو لي كأنّني رجعت للوراء ٤٠٠ عامًا، وكنت أجلسُ بين بعض الشعوب البدائية الباردة مثل هؤلاء الذين نقشت آثارهم البدائية على صخور إيفريز Ivriz.

وهناك جوٌّ من الغموض حول اليزيديين، والذي يفسر جميع الحكايات المخيفة التي ترُوَى عنهم، فبينما جلستُ في الخيمة دخل رجلٌ في لباس سوداء، وجلس تجاهي وقد لاقى من الآخرين احترامًا كثيرًا، وقبّل الرجال طرفَ ثوبه، ولم أكن أعرفُ مَن هو، وسرعان ما غادرت خيمةَ الأغا، وذهبت إلى خيمتي، حيث وجدتُ حشدًا من الرّجال الصّامتين، يتفحّصون ببطء ودقّة جميعَ أثاثي، بينما كان الجنود وركابُ البغال يجلسون مرتجفين من الرّعب على بعد، وجاءت جميع حشودِ المساء في صفوف من الجبل لتحملق في معسكري وتتكدّس علي الحشد المشئوم المجتمع حوله، وفي النهاية جاء الشيخ هامو Shaykh Hamo مع حشدٍ حولي تحت أقدامه، وهو الزّعيم الديني لتلك المنطقة، وقد كان ذا ملامح أكثرَ بشاشةً من الآخرين،

وساعد في محْو شعور الاكتئابِ والبؤس الذي تسلّل تدريجيًّا إلى كلّ فردٍ منّا طوال النهار.

وجاء إلى خيمتي، وقمت باستضافته بأفضلَ ما يمكن، وقد قال إنّه إذا قامت الحربُ بين الفرس وتركيا فإنّ رجال سنجار سوف يقتلون جميع المسلمين الذين يدركونهم، وهو شعورٌ رحّب به الباقون، حيث إنّ صيحتهم الصاخبة الموحدة عبّرت عن إعجابهم بكلام سيدهم، وهي أوّلُ علامة حركة تكسر الصّمت الذي لاحظته طوالَ هذا اليوم، ثمّ استأذن هذا الشيخ هامو، وبعد رحيله تسلّل الكثير من الآخرين نحو التّلال، وبعد غروب الشمس فإنّ خليل أغا الذي يستضيفني بعث بستة رجال إلى معسكري ليرعوه، وكثرَ تساؤلهم عن ميعاد ذهابي للنوم باهتمام لم تؤثر في استعادة ثقتي بنفسي، ولكنْ بخلاف بعض الطّلقات الضالة المنطلقة على بعد فلا شيء مهمّ آخر حدث خلال الليل، وفي الصّباح التّالي انطلقنا نحو بلدة سنجار.

وحينما ظهر العلمُ التركي الذي يرفرف من على قمّة الجبل الواقعة عليه البلدة، فإنّ ركّاب البغال معي بدءوا في الغناء لأوّل مرّة منذ اليوم السابق.

وفي تلعفر Tel Afar وجدنا حياةً باقية ملفتة في المستوطنة التركية الصغيرة التي لا تزال هناك، وهؤلاء الأتراك الذين لا بدّ أنّهم استوطنوا في تلعفر في أوائل القرن الثّاني عشر، لا بدّ أنّهم فقدوا جميع علاقاتهم مع الغزاة الآخرين، ويبدو أنّهم ظلّوا مستقلّين حتّى أيّام إصلاحات السّلطان محمود، وحينئذ كانوا جماعة لصوصيّة متناهية، وتبعًا لاعتباراتهم، فإنّ تاريخهم كما يلي (إنّهم عبيد هاربون ولاجئون، استوطنوا في إنقاذ مدينة تلعفر القديمة، وكانوا يعيشون سابقًا في شكل مستقلّ في أحدِ أنواع الوحدة الشّعبية، وبقيادة زعيم منتخب كانوا يحفظون سيادتهم ضدّ شمر، حتى حينما كان شمر يجمع الرّسوم على الموصل.

والقوّة الكبيرة لرجال تلعفر تكمُن في القلعة الكبيرة صلبة البناء، والتي تغطي بقاياها الآن التّلال المطلّة على المدينة، وعمومًا فإنّه في أيّام رشيد باشا رفض الأتراك الاعترافَ بحقوق حكومة القسطنطينية، والتي ظهرت ثانية لأوّل مرّة منذ أيام هرقل Heraklius في تلك الأنحاء، في أوائل الثلاثينيّات في أوائل القرن التّاسع عشر تمّ القضاء على النّظام المستقلّ، ودمّرت القلعة بواسطة حملة عسكرية.

أعتقدُ أنّني الآن أعطيتكم فكرةً تقريبيّة عن الشّكل الحالي لظروف الجزيرة؛ لأنّه بينما نترك تلعفر وراءنا سندخلُ في نطاق نفوذ العراق، وهي دولة مختلفة بالنسبة للجزيرة، وهنا سؤالٌ يثير اهتمامي وهو سكّة حديد بغداد، وسوف أعطي رأيًا محايدًا بخصوص إمكانيات نجاح المبادرة الألمانية إذا وضعت أقدامها في الجزيرة وفي المقام الأوّل سوف نتناول بالتّفصيل الصعوبات التي سوف يلزمهم مواجهتها.

أوّلًا: رفاهيةُ القبائل الدّائمة:

وهذه عقبةٌ ملحّة حاليًا؛ فرفاهية القبائل في حالة استمرار لأنّه لا يوجد ما يعوقها، ولكنّ القوافل مع ذلك تمرّ من حلب إلى الموصل بدون اعتراض لها، طالما يوجد جنديّ واحد معها، وقوّة عشرة جنود يمكن عادةً أن تقلب أشرس جماعات الحرب وتهيّجهم، ويتمّ جمع ضريبة الأغنام من القبائل المحاربة بدون صعوبة كبيرة، وبالتّالي لا يلزمنا أنْ نتوقّع أنّ السّكة الحديد ستتعرّض لإعاقة من ذلك، إن المعارضة المنظمة يستحيل وجودُها، والصّعوبات التي يمرّ بها رجل مثل إبراهيم باشا حتّى مع المعونة الحكومية في إبقاء قبائله موالية وتابعة له؛ تكفي لإيضاح عدم جدْوى محاولة أيّ قبيلة أخرى من منع بناء السكة الحديد.

ثانيًا: صعوبةُ تطوير الأراضي بدون عددٍ كافٍ من الأهالي:

وهنا فعلًا يوجد اعتراضٌ يبدو أكثرَ إثارة، لكنّني مقتنع أنّه ليس مخيفًا كما افترض سابقًا، لقد وضعت لكم كيفيّة النمو السّريع للقرى في إقليم سيروج Seruj.

إنّ أيّ أحد يركب على الطريق بين حلب ومسكين Meskene منذ حوالي عشر سنوات كان سيجدُ ما يشابه أوضاع الصّحراء، حيث بعض البقايا والتّجمعات المتناثرة والقليل من القرى سوف يراها، والآن في هذا العام مررت على هذا الإقليم في مارس، ثمّ في أكتوبر، وفي مارس لم أجدْ أيّ أرض مزروعة إلّا بعد مسيرة ثلاث ساعات راكبًا في نهر الفرات، وفي أكتوبر وجدت أنّ هذه المسافة نقصت بمقدار الثّلث، حيث تمّ الآن الاستيطان بهذا الإقليم من البلاد، وزراعته بواسطة فقراء البدو الذين عاشوا هناك سابقًا، وأكراد بيرازيه Berazieh ودينارديه Dinardieh الذين اندفعوا من إقليم سيروج، والعرب من الساحل، والأتراك من جبال طوروس.

وكان العربُ والأكراد والأتراك يتجمّعون سريعًا في شكل جنس واحد، لغتهم العربية، ومشكلة استيطان الصّحراء بين حلب والفرات تمّ حلّها بواسطة القوى الطّبيعية، فزيادة حجم وازدهار حلب ألزم الحكومةَ بإخضاع البدو تحت سلطتها، وفي لحظة السّيطرة عليهم بدأ فقراء البدو في الزراعة.

وسَرعان ما تمّ التوحّد بينهم وبين الجماهير المتدفّقة من الأكراد والأتراك، والاندماج المعتدل بين الطّائفتين الأخريين في السكان يصنع العجائب بالنسبة للعرب الذين يتخلّون عن عاداتهم الرّديئة الفقيرة والبخيلة، بينما الأكراد والأتراك خلال التّزاوج مع العرب أصبحوا أكثر تحضرًا وذكاءً.

والآن في الجزيرة أصبح لدينا تقريبًا النّواةُ للشّعب الزراعي بطول ضفاف نهري البليخ وخوبر، في قبائل الفلّاحين العرب، وبمجرد تأمينهم من الغارات وامتلاكهم أسواقًا لمنتجاتهم، سيبدءون في العمل الجادّ، وسوف يعاونهم باستمرار المهاجرون الأكراد الذين يزدهرون الآن، ولكنْ بدرجة قليلة في وجود زراعي

محدود بين جبال شمال أورفا، ويجب أيضًا أنْ نعتمد على التدعيات من دير زور Deir Zor، ومنذ خمسة عشر عامًا كانت ديرُ زور بلدة استراحة سفر صغيرة تقارب القرية حجمًا، والآن بها حوالي خمسة وعشرون ألف نسمة معظمهم أكراد، منهم على الأقلّ ستّة آلاف سيتفرغون للأغراض الزراعية، وجدير بالذِّكر أنّه يوجد أربعة عشر ألف من أكراد الميلي والكيكيه Kikieh Kurds على منحدرات كاراجاداغ لديهم استعدادٌ الاستقرار بطول ضفاف نهر جاج جاج The Jah Jah، والمداخل العليا لنهر خوبر عند مجيء السكة الحديد، وبخصوص ذلك لديّ مقولة من زعيم الأغا لأكراد الكيكيه، وكان حينئذ يُعسْكر على ضفاف الداج داجDagh Dagh (لقد كنّا سابقًا نحن الكيه كيه نعيش هنا في القرى شتاء، وفي الخيام صيفًا، لكنّ شمر دمروا محاصيلنا وطردونا نحو كاراجاغ، حيث نعيش في منازل شتاء، لكنّنا نجيء هنا لنرعى حيواناتنا في الربيع، ولنظهر أيضًا أنّ لنا حقًّا في الأراضي، وعندما تأتي السكة الحديد سوف نكون أغنياء جدًّا، وسوف أحضر جميع شعبي إلى هنا. وستضطر الحكومة هنا إلى حمايتهم، وربّما سنبني خمسمائة قرية، وهذه فقط قبيلة من ضمن القبائل الكثيرة.

وفي سنجار لدينا إقليم جيّدُ الزّراعة فعلًا، ويسكنه حوالي ثلاثون ألف نسمة عاملون، معظمهم مستوطنون تمامًا، وربّما نعتمد على كثير من العمال الأهالي الذين يجيئون لبناء السكة الحديد مستوطنين حولها.

وأعتقدُ أنّ هذه النقاط توضّح وجود استراحة سفر سريعة وملائمة، ومسألة العمل والأمن لم تمثّل تلك الصعوبات التي يشير إليها الناس.

ولكنْ لا بدّ أن نتذكّر تجاه ذلك أنّ فكرة الاستعمار الأوروبي هي فكرة لا يكاد يرحّب بها أحد، وفي عدّة مناسبات فإنّ مستعمرات جركسية أدخلتها الحكومة،

ورغم إجادتهم للزّراعة وإمكانية تكيّفهم مع العرب؛ لكنّهم لا يستطيعون التكيف مع المناخ، إنّ الجزيرة حقًّا ليست مطلقة للبيض أو لعملهم، فالمناخ في الصيف شديد القسوة وحمّى الملاريا في الخريف بالغة الخطورة، والأوروبّيون حتّى عند الإقامة المؤقتة يصابون بالهزال والمرض، ولا يستطيع أحدُهم تولّي منصب الريادة في الزراعة.

وقبلَ ختام هذا البحث أقترح أنّه بعد الوصول إلى Ras-el-ain رأس العين يجبُ أن يسير خطّ السكة الحديد بموازاة نهر خابور على الضفة اليسرى جنوبًا حتّى شدادية Shedadeh، ثمّ يحيط بأسفل تلال سينجار حتى تلعفر، وبعدها يعودُ للمسار المقترح القديم بطول نهر دجلة Tigirs.

وأسبابُ هذا الاقتراح هي:

بمجرّد وصول نهر الخابور فإنّ التكاليف الفعلية لمدّ الخطّ ستكون قليلة، والعقبات الطّبيعية والجهود البدنية ستكون تافهة، في الواقع يمكننا الحكمُ من خلال ذلك أنّه كانت ثمّة قناة هنا أيّام الخلفاء الأوائل تربط بين Wadi Serser وادي صرصر وبين نهر الخابور تمرّ من تلّ كوكب Tel Kokab إلى السفوح الجنوبية لوادي سنجار.

١. إنّها سوف تطوّر المياه الداخلية للجزيرة أوّلًا، وهناك أهمية كبرى في رأيي لأنْ يتمّ استيطان نهري الخابور والجاجاج أوّلًا، والزّراعة بين بغداد والموصل رغم عدم ازدهارها؛ فهي في طريقها للتقدّم. وبين نصيبين Nisibin والموصل فالأرضُ مأهولة بالسّكان لحدّ ما، والآن إذا أخذت السكة الحديد الجانب الشمالي لسنجار ستكون كلّ الاتّجاهات للهجرة والاستيطان نحو الشّمال والشّرق. وأحد الخطوط الفرعيّة من ماردين إلى دير Deir، ربما سيخضع للمناقشة لعدة سنوات قبل إنْجازه،

وطوال تلك الفترة فالأراضي المزْدهرة على ضفاف الخابور والـ بليخ والجاج جاج ستظلّ معطّلة، ولكن إذا تمّ اتّخاذ المسار الذي اقترحته، فإنّ النّزعة الكاملة للهجرة الزراعية والاستيطان سوف تتحوّل إلى منافذها الوسطى الصّحيحة، وتبتعد عن الشّقوق الصخرية التلال ماردين Mardin، وهكذا إذا تمّ تتبّع الخطّ المركزي ربّما نتوقّع أن نرى سلسلة من القرى والحقول بطول حوالي مائة ميل، والتي لا يوجد فيها الآن أكثر من عشرين مسكن دائم، وسوف تبقى دير الزور مستودعًا مركزيًّا للحبوب جنوبًا حتى آنا Ana، وسوف ترتبط مع شدادة (أو شدادية) بكثير من وسائل النقل الرخيصة الآلية.

وبخصوص إعادة تأهيل الإقليم بين رأس العين وشدادة؛ فلن يكون ذلك متعبًا كما يتخيّل الكثيرون، ففي الأعوام الثلاثة الأخيرة نشأت ستة وخمسون قرية جديدة بين Mahdwn مهدون و Jubbe es Sofa جوب الصوفة قرب حلب، وكانت هذه القرى كافيةً لإقامة المنطقة وتحديدها زراعيّة بشكل عام، والتي تضمّ القرى، وباتّخاذ هذا الإقليم كأساس للحسابات أستنتجُ أنّ حوالي ٣١٢ قرية ستتمّ إقامتها بطول الأنهار الوسطى بين شدادة ورأس العين، وهو رقمٌ حسب قول السّلطات المحلية يمكن بسهولة توفيره بواسطة Dinar Kurd أكراد الدينار و Kiki الكيكي و Baggara الباجارة و Weldi الولدي و Aghedaat الأغيدات والعرب، بخلاف تدفّق الشعوب من حلب وماردين والموصل، وبمجرّد استيطان شعبٍ صغير في أمان بطول الأنهار الوسطى، فلا شك في سرعة زيادته ونموّه.



ملاحق المقالة الثالثة









المقالةُ الرّابعة

الانحناءُ الغربي لنهر الفرات

مارك سايكس



الانحناءُ الغربي لنهر الفرات

The Western Bend of the Euphrates

الخريطةُ المرفقة هي نتيجةٌ لمسح واجتياز للمنطقة المستكشفة بمساعدة البوصلة المنشورية[1] في ربيع عام ١٩٠٨. وقد أخذني المسارُ الذي سلكته من الرّقة إلى تلّ السّمان، ثمّ إلى عين عيسى، ومنها إلى تل الحمام. وفي تلّ الحمام تحوّلت باتّجاه الجنوب الغربي، واجتزت الجزءَ غير المستكشف تمامًا من هذه المنطقة البارزة في قلعة جعبر. وحتّى أستكمل المسح الأولي تابعت بعدَ ذلك من الشّمال الغربي إلى المسعودية ثمّ إلى تلّ الأحمر، وعبرت نهر الفرات عند هذه النقطة وزرتُ قلعة نجم.

***

فيما يتعلّق بوصف المنطقة الموجودة على الخريطة، فيجبُ أن أحيل القرّاء إلى ورقتي السّابقة عن شمال بلاد ما بين النّهرين المنشورة في المجلة الجغرافية[2] المجلّد رقم ٣٠ صفحة ٢٣٧. مع ذلك فيجب أن ألفت الانتباه إلى الحقائق التالية:

أوّلًا: المنطقةُ بأسرها بين نهري البليخ والفرات ملائمةٌ للزراعة، لكن قبل أن يصبحَ الجزء الأوسط منها صالحًا لإقامة سكّان مستقرّين يجب عملُ سدّ على المجاري المائية كما كانت في سابق الأيام، عندما كانت سيول الربيع يتمّ حجزها في نقاطٍ مختلفة لتوفير ماءٍ كافٍ للاستهلاك السنوي. وضفاف نهر بليخ وضفاف الفرات جاهزة في الوقت الحالي لأيّ مزارع مثابر يمكن إقناعه بالاستقرار في المكان،

(١) المسح بالبوصلة المنشورية: هو نوعٌ من المسح الجغرافي يتمّ فيه تحديد اتجاهات خطوطِ المسح باستخدام البوصلة المغناطيسية.

(2)Geographical Journal، vol. 30,p. 237.

والسّببُ الوحيد لبقاء هذا الجزء من بلاد ما بين النهرين حتّى الآن بلدًا رعويًّا؛ هو انعدام الأمن وعدائيّة البدو الرّحل.

وبخصوص قلاع جعبر، وقلعة نجم، أتقدّم بإرفاق مخطوطات لهذين الحصنيْن قمتُ بإعدادها، وهُما بدقّة كافية، وحصن قلعة جعبر، والذي ربما بني في القرن التّاسع، لا بدّ أنّه كان يصعب الوصول إليه، فكانت هناك مواقع حصينة ضخمة تطلّ وتحيط بالمدخل من كل جانب.

والممرّ عريض لكنّه متعرّج، وبعد المرور خلال شبكة كاملة من البوابات تدخل نفقًا عميقًا واسعًا، يظهر جيدًا داخل سور جدران القلعة.

وضمنَ ذلك، ووراء آثار وبقايا الحصن، هناك القليل، لكنّه يكفي، لإظهار أن مظاهرَ جَمال ما يسمّى (العمارة الإسلامية أو العربية) لم تكن معروفة حتى بعد انتهاء الإمبراطورية الإسلامية بفترةٍ كبيرة. لقد كانت عمارة العصور القديمة متينة وبسيطة، ودونَ زخرفة، وبها جَماليّات مثل تلك التي كانت تخصّ الأعمال الزّخرفية التي انتهت منذ قرون مضت.

وبالنّسبة للباقي، فباستثناء بعض نقوشٍ متناثرة، فكلّ ما نراه هو بعض آثار للطّوب، وعظم سمك الرنجة، وأدوات بسيطة، ورمح مدبّب قوي، وعمود ذو طراز مشرشر متعرّج قليلًا.

وأفضلُ مفاجأة هي قلعةُ نجم التي بُنيت في القرن الثاني عشر بواسطة السّلطان نور الدين زنكي، وهي ربّما القلعة العربية الوحيدة الكاملة في العالم.

والأعمال الخارجية لم تتأثّر كثيرًا، ولكن داخل القلعة هناك تقريبًا ما يدل على هيئتها حينما بُنيت، والبوّابة الكبيرة المدرّعة بمواقع حصينة ضخمة؛ مؤثّرة جدًّا وتفتح على ممرّ مُظلم يدور فجأة يمينًا ويسارًا مؤدّيًا إلى مقرّ حراسة. وفي الجزء السّفلي من أساسات

القلعة هناك مستودعان كبيران وثكناتٌ للجنود، وآبار أو ينابيع، وفرن ومطبخ واسع، وأنابيب مياه، ورافعات للمؤن مؤدية إلى شرفات الحصن، ومخازن الحبوب، وغيرها، طولُها غالبًا ١٢ × ٢٧ قدمًا، وفي أحد أركان الأبنية السفلية هناك مسجدٌ يتّسع لعدد ٣٠٠ شخصًا.

ويشكّل البهو – الدّهليز– الرئيسي سلسلةً من ستّ حجرات كبيرة من الثكنات ربّما يعيش فيها الحرس. وقرب البوّابة الرئيسية وجدت سلّمًا غريبًا ملتفًّا يؤدّي لأسفل، والسّلم بعد الانحناء بشكل حادّ يمينًا ويسارًا، كان يشكّل أسطوانتين أو عمودين مؤدّيان إلى مقرّ المعيشة، وكلا العمودين ينتهيان فجأة إلى غرف صغيرة مربّعُها حوالي ١٥ مترًا، وهذه الأعمال كانت مكلّفة، ويصعب تحديد الغرض منها لأنّها لا تؤدّي إلى أيّ مكان، والمساحات الموجودة في نهايتها ليستْ كبيرة بما يكفي لأيّ غرض يمكن تخيله.

وهناك عدّةُ سلاسل من السّلالم، تؤدّي غالبًا إلى شرفات القتال والتي تتمتع بوقايةٍ ممتازة من الدّاخل، وفوق البوابات يتّضح وجود مساكن القائد الذي تنتمي إليه القلعة بما فيها مسجد ومكتبة وشرفة تعطي منظرًا رائعًا على نهر الفرات، وفي الوسط يوجد الحصن، وكان من المثير إلى حدّ ما أنْ نلاحظ أنّ سلالم هذا الملجأ الأخير تمّ سدّه بالأحجار بشكل متعمّد، ربما خلال الدفاع الأخير بعد أن انتهى تدعيم الأبنية الخارجية.

والانطباعُ العام لدى الفردِ هو شعورٌ بالفخامة الجليلة والقوية.

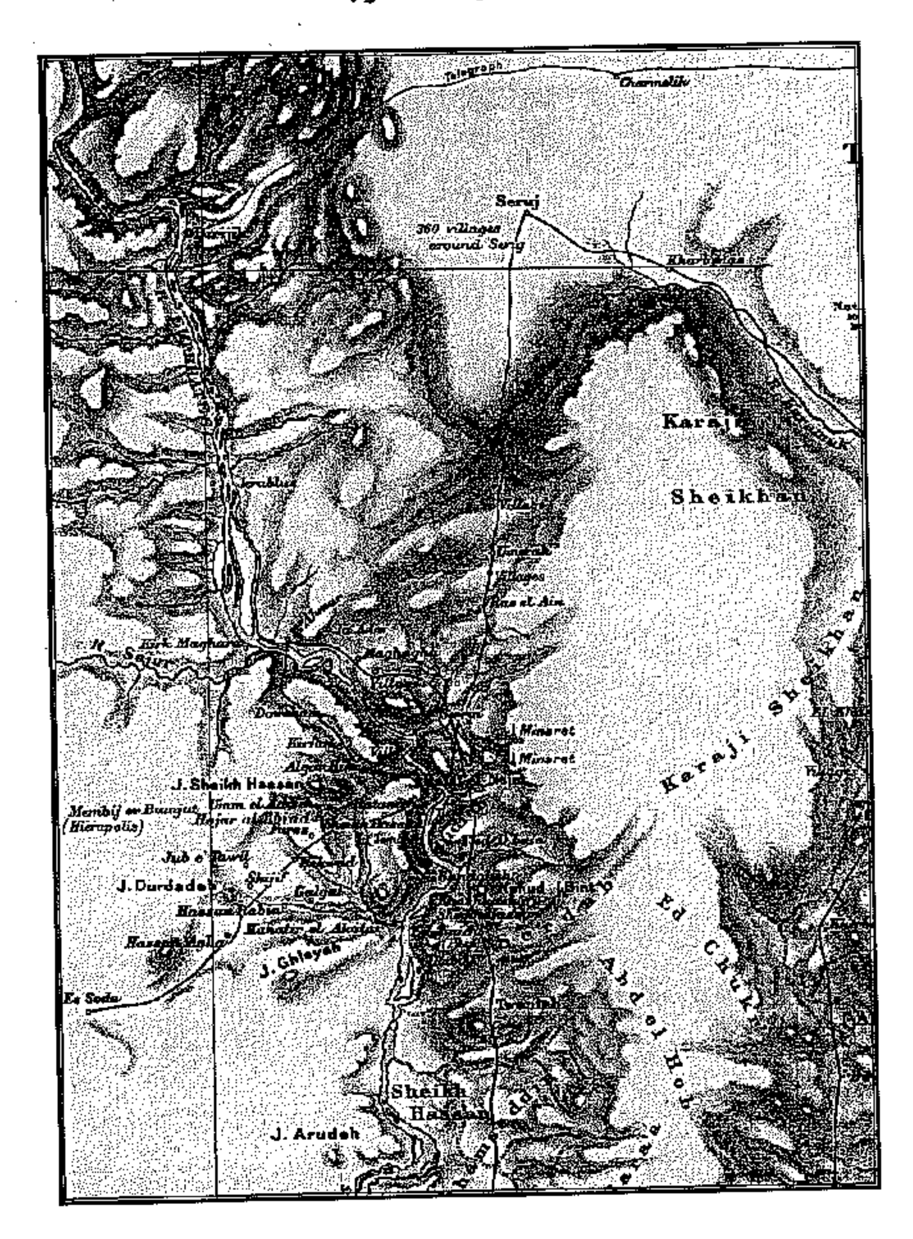
وليسَ من الصّعب تخيّلُ المكان يعجّ بحرّاسه القدماء من الأتراك والعرب، وربّما الفرنجة، وأن نتخيّل صليل وضجيج الرافعات والبكرات تئنّ تحت ثقل الصّخور والسهام التي ترفعها للقاذفات، وأن نرى جنود التّغذية تجرّ حصص

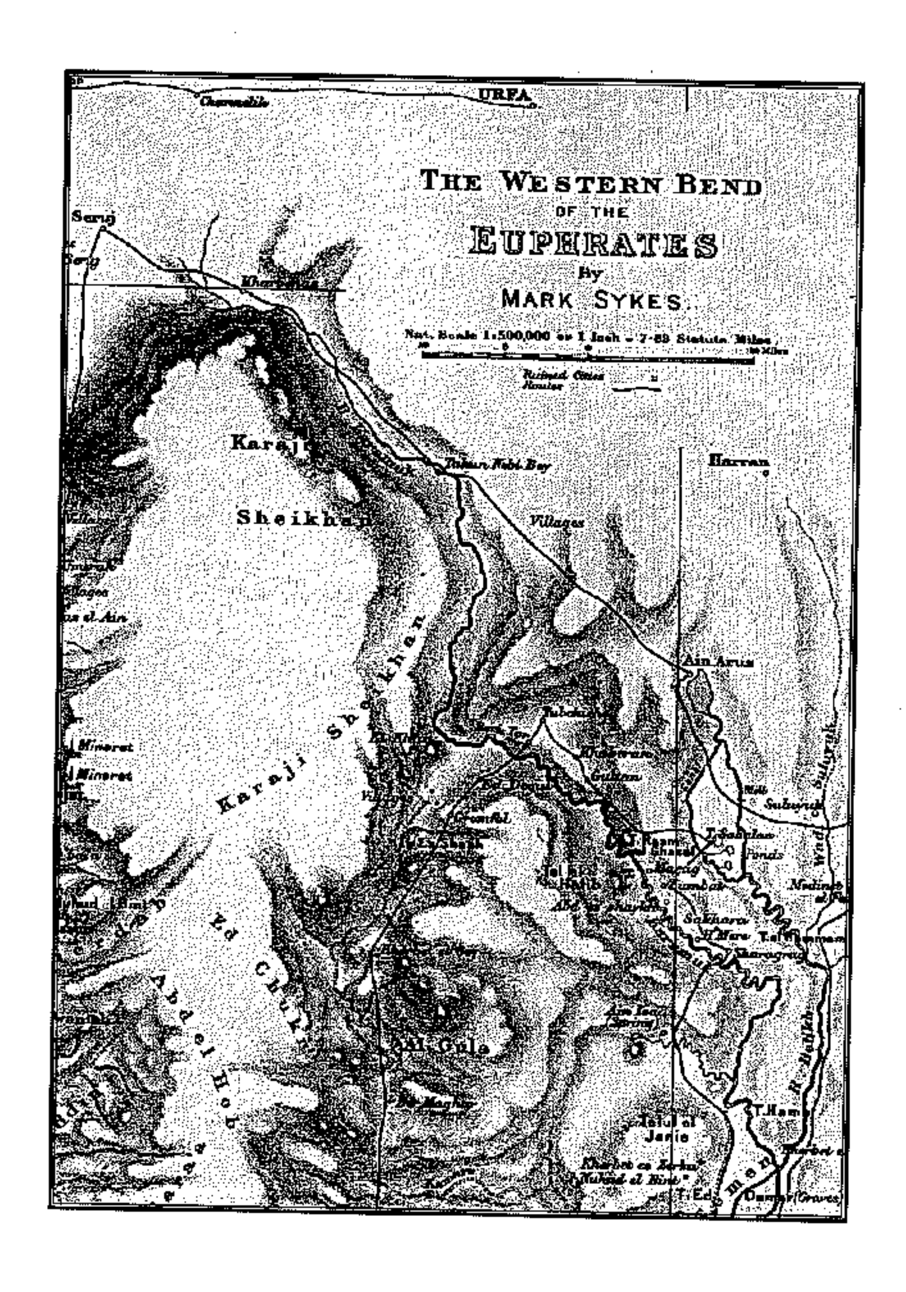
الطّعام عند بوّابة المطبخ، أو نتخيّل الزعيم الشّرس يتحرّك ذهابًا وإيابًا على الشّرفة، ليطلّ على البلاد الجديدة التي سوف ينهبها أو البلدان التي سوف يبتزّها للحصول على فدية.

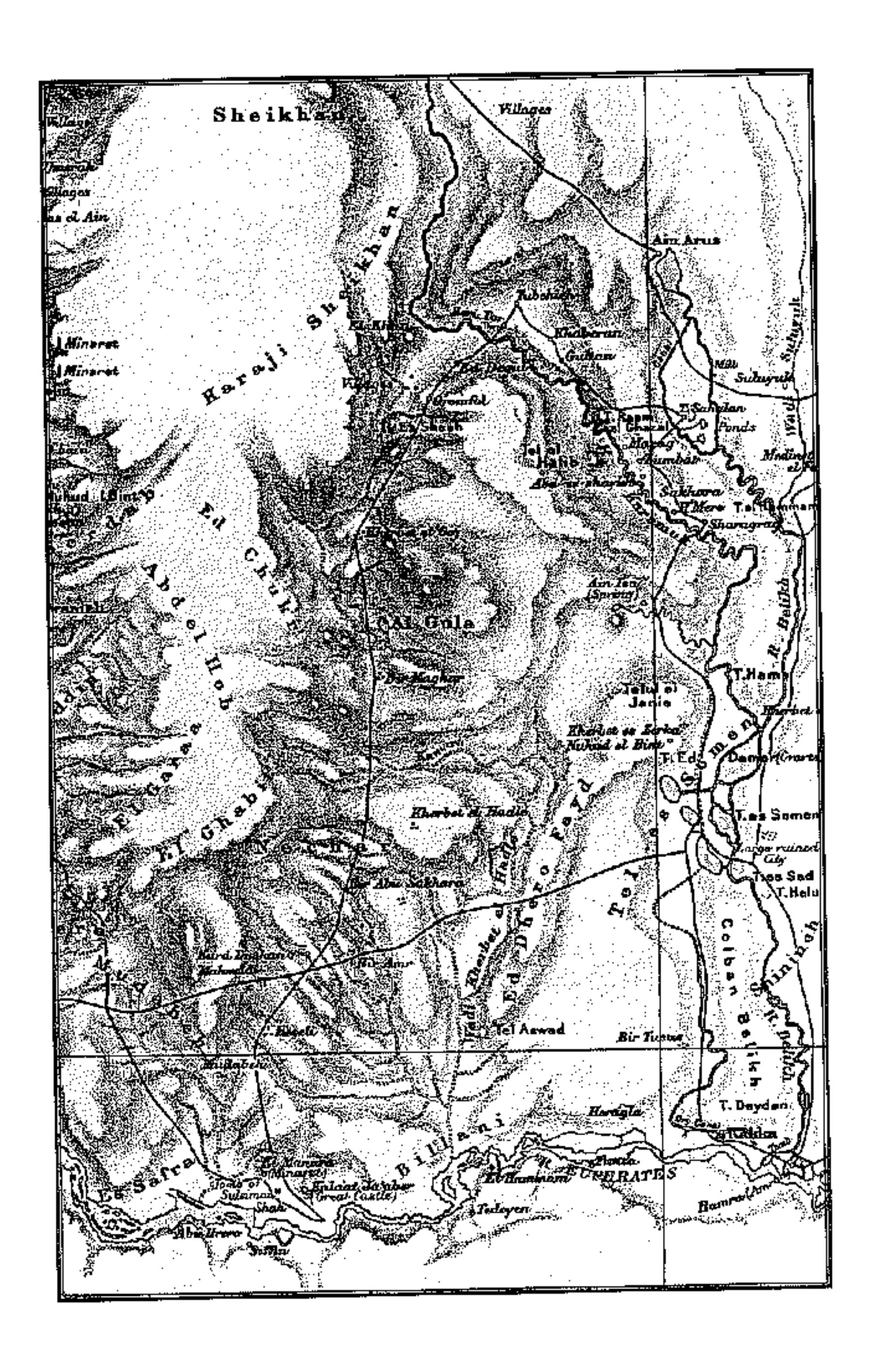
إنّ جنود حراستي الذين ساعدوني في استكشاف القلعة تنافسوا مع بعضهم البعض في مناقشةٍ فلسفيّة محزنة: أين مَن بنوا ذلك؟ ذهبوا إلى مصيرهم المحتوم!! لعلّ الله يرحمنا جميعًا! فماذا يفيدُ الإنسان من ماله وثرائه؟ إنّ الموت قدرُه المحتوم، فلعلّ الذي بنى هذا البناء كان يقول: إنّني قوي وذو نفوذ!!

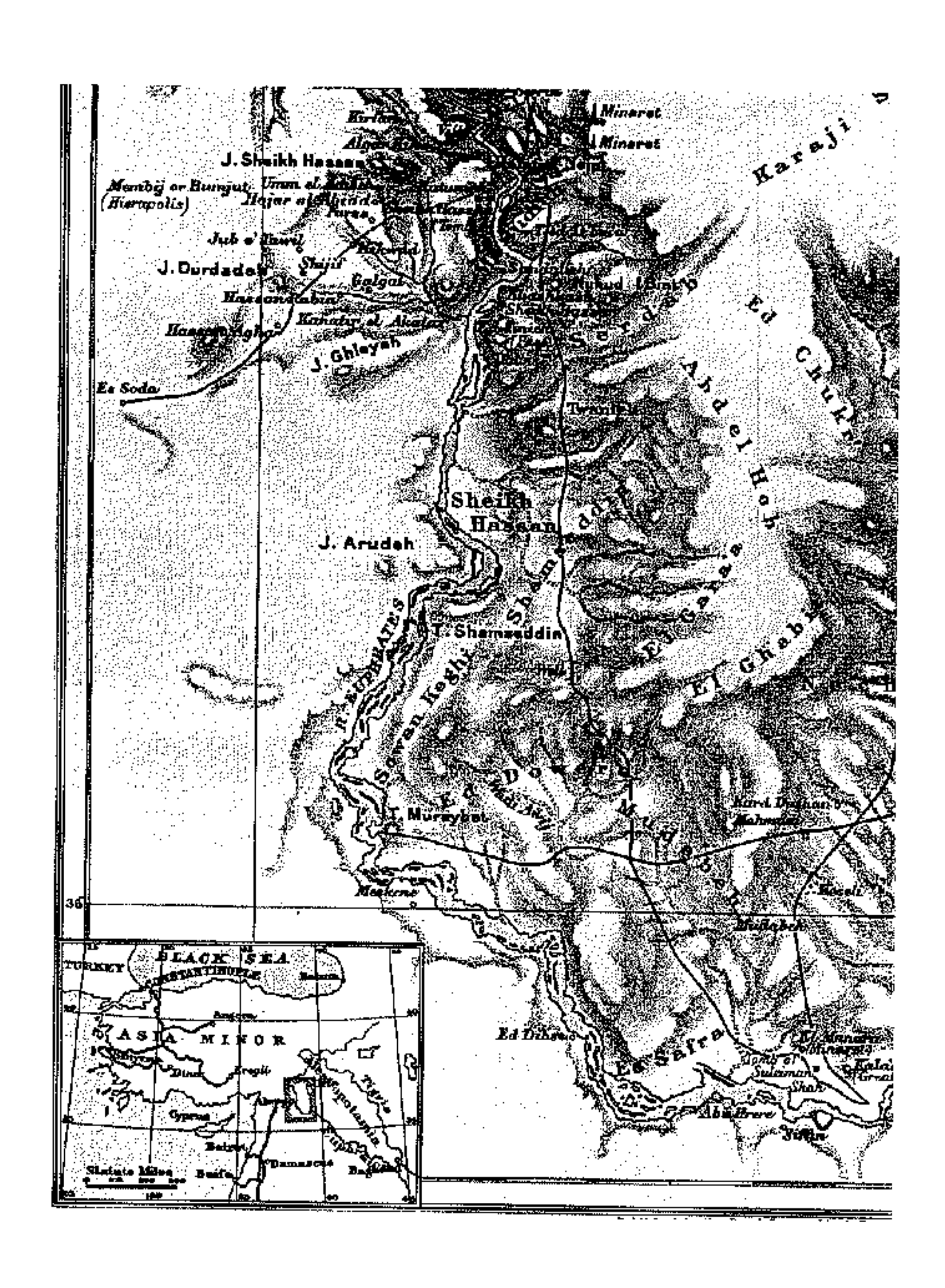
فمَن يعلم الآن اسمه أو حتّى قبره؟ إنّ الخفافيش والبوم مدينة بالفضل الآن لهذا الشخص لأنّه لحُسن حظّها قد ترك لها ذهبَه وثروته.

ملاحق المقالة الرابعة




URFA
THE WESTERN BEND
OF THE
EUPHRATES
BY
MARK SYKES
Seruj
Karaji
Sheikhan
Harran
Villages
Ain Arus
Karaji Sheikhan
Ed Chukh
Abd el Hob
Al Gula
Tell Abiad
Tulul al Jarie
R. Belikh
Wadi Sulutah


Sheikhan
Villages
Karaji Sheikhan
Minaret
Minaret
Ain Arus
Suluyuk
Wadi Suluyuk
Ponds
Sakhara
T. el Hamman
Sharagrak
Ain Issa (Spring)
Al Gula
R. Belikh
T. Hamam
Telul el Janie
Nuhaid el Bint
T. Ed Damar
T. es Semen
Large ruined City
T. es Sad
T. Helu
Kherbet el Hadle
Abdel Heb
Ed Chukr
El Ghabr
Ed Dhero Fayd
Tel es Semen
Colban Belikh
Shininah
R. Belikh
Tel Aswad
T. Deydan
Haragla
Billani
El Hammam
EUPHRATES
Es Safra
Tomb of Sulaiman Shah
Teleyen


J. Sheikh Hassan
Membij or Bumbuj (Hierapolis)
Jub e' Ibwil
J. Durdadeh
Es Soda
J. Ghleyeh
Sheikh Hassan
J. Arudeh
T. Shamseddin
EUPHRATES
T. Mureybet
Meskene
Ed Dibse
Es Safra
Abu Hrere
Ed Chukr
Karaji
BLACK SEA
TURKEY
CONSTANTINOPLE
ASIA MINOR
Cyprus
Damascus
Tigris
Statute Miles

مناقشة حول كُتب أو مقالات مارك سايكس[1]

- الرئيس:

وقبل البحث، يجب أنْ أقدّم المحاضر السيد مارك سايكس Mr.Mark Sykes ، ولكنْ أتوقّع أنّ الكثير منكم يعرفه فعلًا بسبب كتبه التي ظهر أوّلُ كتاب منها عام ١٩٠٠، لقد كان مختصرًا كثيرًا، ولكنّه مثير من أحدِ الشّبان الرحّالة في تركيا الآسيوية، وعام ١٩٠٤ بعد رحلات أخرى في تلك المناطق قدّم كتابًا أكثر توسّعًا، مليئًا بالمعلومات والخرائط المتميّزة تحت عنوان "دار السّلام"، ومنذ ذلك كان السيد سايكس يسافر ثانيةً عبر نهري دجلة والفرات، وهي إحدى المناطق الأكثر جاذبية في العالم، وسوف يعطينا اللّيلة خلاصةَ أبحاثه الأخرى، ويمكنني القول بأن السيد سايكس درسَ الشّرق الأدنى منذ صباه، وأعتقد أنّ أوّلَ مرّة تمّ اصْطحابه (مع والده السّير تاتون سايكس) إلى حوران Hauran حينها كان عمرُه عشرةَ أعوام فقط، وبالصّدفة يمكنني القول أنّ السّير تاتون سايكس يحتفل الآنَ بعيد ميلاده الواحد والثمانين في Yokohama يوكوهاما، وفي كتاب السيد مارك سايكس تكون لدينا فرصة الاستماع إلى شخص قام بدراسة دقيقة للأجناس، أو الأجناس المختلفة لذلك الجزءِ من العالم، وخصوصًا الأكراد.. وهُم شعبٌ مثير، وها هو البحث.

-**السّير هنري تروتر Sir Henry Trotter:**

مع عدم وجودِ متحدّثين ذوي كفاءة، يسعدني أنْ أقول بعض الكلمات، لكنّني أخشى التّعاملَ مع التّاريخ القديم لأنّني كنت أعيش في تلك الأنْحاء منذُ خمسةٍ

(١) يبدو أنّها كانت في الجمعية الجغرافية الملكية، أو في معهد الأنثروبولوجيا الملكي البريطاني، حيث شارك فيها ثلّةٌ من العلماء.

وعشرين إلى ثلاثين عامًا، وخلال الحرب التركية الرّوسية الأخيرة التحقتُ بالجيش التّركي في آسيا الصغرى، وكان لنا احتكاكٌ بعددٍ كبير من الأكراد، وكان عليّ أن أفعل الكثير مع الأكراد والعرب أحيانًا، وأصبحتُ على صداقة مع بعض زعماء الأكراد، وكنت سعيدًا جدًّا لأنْ أسمع الكلمات القليلة التي قيلت لصالح الأكراد الليلة؛ لأنّه غالبًا ما توجّه إليهم الإساءات، لقد كنت شديدَ التّعاطف معهم، لأنّهم كانوا يحاربون من أجل بِلادهم، وكانوا لا يفعلون الكثير على نمط سلوكِ العرب، ولم يهتمّوا كثيرًا بتقاربِ المكان، وهؤلاء الأكراد هُم رفاق طباعُهم مثيرة، ويذكّرونني- وخصوصًا الأكراد القبائل- بالعشائر الأسكتلندية القديمة، إنّهم عدوانيّون جدًّا في طباعهم، ويوقّرون زعماءهم بنفسِ الطّريقة مثل قدماء سكّان مرتفعات أسكتلندا، ومن بعض النواحي لديْهم مزايا هؤلاء القدماء، والذين كانوا عند قيامهم بحملات غزو يذهبون سيرًا على الأقدام، بينما يذهب الأكرادُ على الخيول، وبعض الزّعماء الشّباب كانوا ذوي مظهرٍ حَسَن ووسيم، ولكن من الغريب كيف يحدُث هذا التّغيير في العصر القديم!؟.

إنّ الشّاب الصّغير في العمر ١٨ أو ٢٠ عام سوف يصبح شيخًا عجوزًا كما نرى إبراهيم باشا في الصّورة، وهو مثالٌ للزعيم، لقد حدثت واقعةٌ غريبة فيما يخصّ أحدَ الأصدقاء الذين عرفتهم هناك، فبعد عامين كنت أذهبُ من أرضروم إلى ديار بكر، وكنت متلهفًا للوصول هناك قبل الشّتاء، وخلال السّير مباشرة عبر الجبال استطعت الوصول خلالَ تسعة أيام، بينما كانت تستغرق الرّحلة واحدًا وعشرين يومًا خلال عبور الجبال، ولكنْ بعد إلحاح من طرفي أرسل إلى السجن وأخرج كبير اللصوص، وعرفنا ببعضنا قائـلًا: "هل ترى هذا الرجلَ المهذّب تأخذُه في سلام وتوصله، ثمّ تعود إلى السّجن؟" وبلا شكّ قضيت رحلة مثيرة، ولكنْ وصلتُ بأمان، ولم يعدْ هذا الكُرديّ إلى السجن.

وفي الطّريق، زرت زعيماً كُرديًّا كان اسمه بارزًا في بعض تقاريري باعتباره مِن أسوأ المضطهدين للمسيحيّين، وقد قرّرت إعطاء هذا الشّخص محاضرة، وأرسلت بيانًا باعتزامي الزيارة، وقمت بإعداد خطابٍ طويلٍ حول جسامة أو شناعةِ أساليبه، ولكنّه عند انفتاح حجرة الجلسة لنا نظرْنا لبعضنا البعض للحْظة، واندفعنا في أحضان بعضنا، لقد كان أحدَ أصدقائي القدماء، ودخلنا في حوار ودي، وكانت النتيجة فيما أعتقدُ أنّه غيّر أسلوبه لفترةٍ معينة، وعند وجودي في ديار بكر زرت Dara دارا، وهي مدينة حدودية رومانية قديمة مليئة بالآثار الجذابة.

وأذكرُ أنّني هناك كنت مهتمًّا بجمع العُملات، فكان الصبية العرب يحضرون أكوامًا من العملاتِ النّحاسية، وكنت أتطلّع بعدها، ووجدت أنّ هناك عملات أفضلَ من عملات أماكن أخرى، ومنذ ذلك الوقت أصبحتُ جامعًا عاشقًا للعملات. إنّ عملات هذه المنطقة بالخصوص جذّابة، وبعد سقوط الخلافة التي تحدث عنها المحاضرة قام عددٌ من الأمراء بصكّ عملات خاصّة بهم، وعند وقت الحملات الصليبية ضرب الأمراءُ العملاتِ للقيام بالمعاملات التّجارية مع الصليبيين، والأكثر جاذبية منها التي تحمل طوابع بيزنطية أو رومانية أو يونانية على أحد الجوانب، ونقوش عربية قديمة على الجانب الآخر.

وأحدُ الملامح الجذابة الأخرى في بلاد ما بين النهرين كانت قرية Ermen إرمين، وهي مستعمرة أرمينية في السهول الكبرى لجنوب ماردين، وأعتقد أنّه تمّ تدْميرها في المذابح الأرمينية، وفي المدرسة الباقية لتلك القرية يلفتُ الأنظارَ تعدّدُ اللّغة المستخدمة في ذلك الجزء من البلاد، وكان المعلّمون شديدي المعرفة باعتبارهم أرمينيين كاثوليك، وكان الأطفال جيّدي المعرفة بالفرنسية والعربية والأرمنية والسريانية.

- جينرال جيمز General James :

هل تسمح لي أنْ أقول بعض الكلمات: عام ١٨٥٧– ١٨٥٨م التحقت بلجنةِ الحدود الدولية بين تركيا وروسيا في آسيا الصغرى، وزرنا Kars قارص وأرضروم و Bayazid بايزيد و Erivan إيرفان، وعشنا لبضعةِ شهور في إقليم سلسلة جبال أرارات، وبينما كنا هناك في خدمة الحكومة، ومعَنا وفدٌ كبير من فرسان الأتراك في جانب، ومن القازاق في الجانب الآخر، فقد كانت القبائل البدوية شديدةَ التحضّر معنا، وعشْنا لبضعة أسابيع قرب الأكراد اليزيديّين، وأعتقد أنّ سلوكهم كان جيدًا لوجود هذا الوفد القويّ معنا، وكنّا نتناول العشاء في خيامهم، ولكن لم يسمحوا لنا بالمشاركة في احتفالاتهم الدّينية التي كانت غامضة، وهم أصحابٌ طيّبون، واستمتعنا بإقامتنا وسطهم، ولم يظهروا كأوغاد أنذال كما توقّعنا.

- السّيدة لوثيان بل Miss Lowthian Bell:

أودّ أنْ أعرف من السيد مارك سايكس ما إذا كان الطريق الذي طرحه لسكّة حديد بغداد كانت قد عاينها Baron Oppenheim البارون أوبن هايم، وقد وجد بعض آثار الحيثيين النادرة في The Jebel Abdul Aziz جبل عبد العزيز، وبالتأكيد فقد ذهب إلى جبل سنجار الذي أعطى وصفًا مخيفًا له، وبالتأكيد أنّه قد رأى هذه البلاد بدقة كافية، لقد تمّ إرساله أساسًا لمعاينة البلاد لصالح الإمبراطور، ولذا أعتقدُ أنّهم اعتبروا الطّريق الشّمالي هو الأسهل، ولا أعتقد أن الطريق المحدّد تمّ الاستقرار عليه؟ وهناك اقتراح آخر أريد تقديمَه بخصوص صور المسجد في ديار بكر، وأتمنّى أنّ السيد مارك سايكس لديه اهتمامٌ بالآثار، ستكون لديه الصّور المأخوذة خفْيَة، وأنْ يعطيها للجمعية اليونانية؛ لأنّهم سيقدّرونها بشدّة، وأعتقد أنّ المسجد كان أحد البقايا الهلينستية (اليونانية)، ولا أعتقد أنّ الصور التي أظهرها

هذا المساء قد نشرتْ من قبل، وهي تحمل نفسَ الطّابع المعماري للواجهة المشهورة في أروفا، ولذا فربّما تكون بنفس التاريخ.

- الرئيس:

مع تقديم كلمة الشّكر للسيد سايكس، لن أقدّم أيّ ملاحظات خاصة بي، وأطلبُ منكم الانضمامَ في كلمة الشّكر الحميم إليه من أجل بحثه الممتاز، والذي قدّمه بشكل مستحسن، وقبل الافتراق لا بدّ أن أقول كلمة إنّ Miss Lowthian Bell السيدة لوثيان بل قدّمت عونًا عاجلًا جدًّا للجمعية.

إنّنا سعداء جدًّا بالحصول على أبحاث للسّيدات، ونتطلع بانضمامهم إلينا بكلّ وسيلة في نشر المعرفة الجغرافية، ويسعدنا الاستفادة من خبراتهنّ في الاستكشاف، ومن أفكارهنّ في المعرفة الجغرافية، وفي هذه الأيام الأخيرة ليس هناك اعتزامٌ للاستغناء عن معرفتهنّ أو ذكائهن.

- السيد مارك سايكس:

شكرًا جزيلًا على نداء الشّكر، وسوف أنظر جيدًا في مختلف الأسئلة التي طُرحت عليّ، وبخصوص اليزيديّين، فقد كنت أضغط محاضرتي بقدْر الإمكان، وبالتّالي لم أقل إنّه بين سينجار والموصل قضيت ليلةً مع قبيلة اليزيديّين الذين كانوا في شدّة الطّيبة معي، وقدّموا إليّ الطعام، وفي نفس الوقت أستطيع أنْ أقول إنّ زعماءهم كانوا في السجن في سينجار، وكانوا في مخبأ رديء قبلها بحوالي أسبوعين، وبخصوص الطّريق الشّمالي ربّما يكون شديد الملاءمة والفائدة حينما يكون الأمر متعلّقًا بمجرّد ضمان الطّول الكيلو متري بخصوص زيادة الطول، وأنا أعترف بأنّه حينما تتقدّمون في مسافة الطول أحيانًا يكون من المفيد أن تجعلوا الخطّ أطولَ بعضَ الشّيء من اللازم، وفكرتي هي أنّ المسار الجنوبي لن يكون أكثرَ فقط،

ولكنّه أيضًا توسّعيًا، وبالذّهاب من رأس العين إلى سينجار ستقتربون كثيرًا من نهر بليخ على يمينكم، وعلى الجانب الأيسر يكون لديكم عدّةُ أنهار، وستكون لديكم مواصلات طرفية سهلة؛ لأنّ كلّ تلك الصحراء مفتوحة للمرور، وفكرتي هي أن تسير سكككم الحديدية خلال وسط الأرياف المزروعة بالحبوب، ويتوفر إنتاج الحبوب من الجانبين، وأعتقد أنّ هذا سيكون اقتصاديًّا، وإذا صارت السّكة الحديد شمالًا نحو نصيبين أعتقد أنّ وادي خاربور بكلّ إمكانية سيكون مهجورًا لسنوات طويلة قادمة.



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدّمة	٩
مارك سايكس Mark Sykes (١٨٧٩–١٩١٩م)	١٣
رحلات مارك سايكس في العراق	٢٠
المقالةُ الأولى: القبائل الكُردية في الإمبراطورية العثمانية	٢٣
المقالةُ الثّانية: رحلات في شمال ما بين النهرين	١١٥
المقالةُ الثّالثة: رحلات في شمال ما بين النهرين	١٤١
المقالةُ الرّابعة: الانحناء الغربي لنهر الفرات	١٥٧
مناقشة حول كتبِ أو مقالات مارك سايكس	١٦٧



المركز الثقافي الآسيوي

■مؤسّسة بحثيّة مستقلّة، تتبع جمعية خريجي معهد الدّراسات والبحوث الآسيوية، تخضع لقانون الجمعيّات الأهلية المصري، مُشْهرة في وزارة التضامن الاجتماعي برقم ١٣٢٨ لسنة ٢٠٠٢م.

■يتكوّن المركز الثقافي الآسيوي من الوحدات التالية:

١) وحدة دراسات الخليج وشبه الجزيرة العربية.

٢) وحدة الدّراسات الإيرانية.

٣) وحدة الدّراسات التركية والعثمانية.

٤) وحدة الدّراسات الأرمنية والقوقازية.

٥) وحدة الدّراسات اليهودية والإسرائيلية.

٦) وحدة دراسات الشّرق الأقصى.

٧) وحدة دراسات الفنون والتّراث.

٨) وحدة دراسات تركستان الشّرقية- شينجيانج

■يهدف المركزُ الثقافي الآسيوي إلى عمل البحوث والدّراسات المتعلّقة بقارة آسيا في النّواحي التّاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكافّة النواحي الحضارية.

■يعمل المركزُ الثقافي الآسيوي على طباعة ونشر الدّراسات التي تنتجها وحداته المختلفة، كذلك الدّراسات التي يتقدّم بها الباحثون المتخصّصون في مجال اهتمامات

وحدات المركز.

▪يقوم المركز الثقافي الآسيوي بترجمة الإصدارات العالميّة الخاصّة بقارة آسيا وإصدارها في نشرات خاصّة.

▪يسعى المركزُ الثقافي الآسيوي إلى إصدار عدّة سلاسل من الكتب والدوريات المتخصّصة، والتي تخدُم الدّراسات الآسيوية خاصّة، والثقافة الإنسانية بشكل عام.

▪يمدّ المركزُ الثقافي الآسيوي يدَ التعاون للباحثين والمراكز البحثية والهيئات العلمية الأخرى؛ للقيام بالأنشطة العلميّة والندوات والمؤتمرات وعمل الأبحاث ونشرها.

harpgeneration@yahoo.com

(٠٠٢) ٠١٢٢٩٣٦٥٣٤٨